نُمُوّ الجذور اللغويّة
نظرات تأصيليّة في المادة المعجميّة
في سبيل معجم تاريخي للعربيّة

إسماعيل عمايرة*

ملخّص**

ينطلق هذا البحث من مبدأ مؤداه أنّ الجذور اللغويّة للعربيّة كانت أقل مما هي عليه، ثم أخذت بعض الجذور مع تباين الزمان والمكان، ولأسباب مختلفة، تتنوع في الشكل والمضمون، ثمّ أخذت هذه التنوّعات تستقل إحداها عن الأخرى، وتنمو اشتقاقاً ومعنى، نموّاً خاصّاً، كما لو كانت منذ البداية ألفاظاً مستقلة، لا علاقة لإحداها بالأخرى. وهذه – على العموم – نظرة اللغويين القدامى للأمر، وهي نظرة تلتقي مع نظر الوصفيين المحدثين له. غير أنّ التقاء هذه الجذور بل تطابقها تطابقاً تاماً في المعنى، وتقاربها الصوتي، من جهة ثانية، والقدرة على تعليل ذلك التباين، يغري الباحث التاريخي بوضع يده على آثار تتفاوت في وضوحها وغموضها، لكنها تدل، في عمومها على أن كثيراً من هذه المواد تعود إلى أصل واحد.

وقد أسعفت النظرة المقارنة إلى بعض اللغات الساميّة في الوقوف على بعض الجذور اللغويّة الأولى للعربيّة؛ ولذا كان لجهود بعض المستشرقين – وأخصّ الألمان منهم – أهمية في الوقوف على الأصول المشتركة بين العربيّة وبعض هذه اللغات. وهذا يساعد – ولا شك – على تعميق البحث عن تطور العربيّة في مراحلها القديمة، فيضيف إلى الأثر التاريخي المحليّ المعتمد على النصّ العربيّ وحده، أثراً سامياً قديماً يلقي الضوء على مراحل تاريخيّة لا تُسعفنا الحداثة النسبيّة لعمر النص العربيّ من الوقوف عليها.

مقدمة

أدرك بعض القُدماء أن المادة اللغويّة المتقاربة في أصواتها تتقارب في معانيها، وهذا ما أشار إليه ابن جنّي في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني[1].

إن هذه النظرة نظرة وصفيّة، بمعنى أنّها تصف الواقع كما هو، وبحسب ما يبدو عليه. وهذا يعني أنّ الألفاظ المتقاربة ربما تكون ذات أُصول اشتقاقيّة مستقلة، وإن بدت متقاربة شكلاً، وأن المعاني التي تحملها مستقلة أيضاً، وإن بدت متقاربة، وعلى هذا فإن: نقب، ونقر، ونقش، وفْق هذه النظرة الوصفية مواد لغوية مختلفة وليست مادة واحدة، ولكلّ دلالة، وإن تقاربت الدلالات. هذه خلاصة النظرة الوصفيّة التي توضّح رؤية القدماء لهذه المسألة.

وأما ما ترمي إليه هذه الدراسة فيختلف عن هذا الأمر، منهجاً ومغزى، أمّا المغزى فليس الوقوف عند حدّ التّماس ذلك القدر من التشابه في المعنى بين بعض المواد المعجميّة، وإنّما المقصود التماس ذلك القدر من التطابق بين هذه المواد في المعنى، وذلك القدر من التباعد، أمّا التطابق فيهدف إلى الوصول إلى الاستشهاد به على مرحلة كانت فيها تلك الألفاظ تعود إلى أصل تاريخي واحد، قبل أن تستقل، فتصبح ألفاظاً متباينة. وأمّا التباعد فهو للتأكيد على أن هذا الأصل الذي كان يحمل معنى واحداً قد تشققت عنه ومنه فروع، أخذت تنمو مع الزمن ويكتسب كلّ منها لنفسه سيرة ذاتية خاصة به، ربما لا تكون في سواه، مع احتفاظها بما يدل على ذلك الأصل القديم الذي ظلّ يسري في جميع الفروع، حتى بعد استقلالها، وانفراد كلّ منها بمسيرة خاصة به.

ولا شك في أنّ تباين المكان والزمان في عمر المسيرة اللغويّة، قد أدى إلى هذا التباعد والاستقلال. فالنظرة هنا ليست وصفيّة تصف المواد اللغويّة بحسب ما آلت إليه – وهي النظرة الغالبة في المعجم العربي بعامّة – وإنما هي نظرة تاريخيّة تطوريّة، ترمي إلى بيان التطور الذي يمكن من خلاله رؤية المراحل والملابسات التي نتج عنها الواقع الوصفيّ الراهن، وأثر التباين الزمنيّ والمكانيّ واللهجي، الذي شكّل اللّغة في هيئة طبقات متراكبة من عمر اللّغة، دل فيها القدر المشترك من المعنى على الأصل القديم للظاهرة اللغويّة الواحدة، والقدر المختلف على أجيال متتالية من عمر الظاهرة اللغويّة نفسها.

وينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار، في بحث هذه المسألة، تداخل المواد اللغويّة؛ فالمادة اللغويّة قد تكون بمعنى أصليّ،

---

* أستاذ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ١٩٩٧/١٢/١٣ وتاريخ قبوله ١٩٩٩/٤/٢٨.

** يعود الفضل في إنجاز هذا البحث إلى الجامعة الأردنية التي أتاحت لي فرصة التفرغ في العام الجامعي ٩٦ ـــ ١٩٩٧م، كما لا أنسى أن أشكر جامعة (Heidelberg) التي تمكنت من خلال مكتبتها العامرة بالدراسات الساميّة من إثراء هذا البحث بموازنة الظاهرة في كل من العربية واللغات الساميّة.

(١) ابن جنّي، الخصائص، ج٢، ص ١٤٥.

ثمّ يدخل عليها معنى جديد لسبب ما كالتبادل الصوتي، أو القلب المكاني الذي يكون قد طرأ على مادة أخرى مستقلّة في الأصل. وهذا يضعنا أمام اعتبارين متباينين:

- اعتبار الجذر الواحد، الذي يتقلّب عبر رحلة الزمان والمكان، فيتنوّع النطق به، ثم يُوظّف هذا التنوّع، في وظائف معنويّة جديدة، حتى يصبح كل تنوّع كما لو كان أصلاً بنفسه. ومثال ذلك أن يُنْطق الجذر: جدف، عند قوم بالدال المهملة، ويُنطق عند آخرين بالذال المعجمة، ولا يكون الفرق بينهما في أصل نشأته سوى اختلاف لهجي، قبل أن يستقل كلّ واحد منهما عن الآخر في المعنى.
- والاعتبار الآخر، هو أن تكون جدف بالدال المهملة، مادة أصيلة تختلف عن مادة جذف بالذال المعجمة، وتكون كل واحدة منهما أصلاً مستقلاً، وليس مجرد اختلاف لهجي، وإنما هو اختلاف أصيل في الشكل النطقيّ والمضمون، ويكون الفرق في المعنى بينهما بعيداً أصلاً، ولكن الاختلاف اللهجي، الذي ورد ذكره في الاعتبار سابق الذكر، جعل الجذرين المتباينين في الأصل، يلتقيان التقاء عارضاً، نتيجة هذا التطوّر. خُذْ مثلاً لذلك احتمال أن تكون: ركّ، ومنها: ركْرك، مادة تغاير مادة: رقّ، ومنها: رقرق. بَيْدَ أن كل مادة دخلت على الأخرى حين نُطقت القاف مُرققة كالكاف، أو نطقت الكاف غليظة كالقاف. وقد تكون: ركرك، مادة أصليّة، تختلف في معناها ومبناها عن كركر، ثم حدث التداخل والتقارب، حين قُلبت إحداهما، فأصبح للمقلوب (عليها) معانٍ جديدة إضافة إلى معانيها الأصلية. انظر المعالجة القادمة لـ: عين ومعن، وأبن وأبل وأنب، وكف وكفكف وكفأ، ولأم وليم ولمم ولوم، وغيرها.

ولا شك في أنّ المنهج التاريخيّ يسعى إلى تفسير ذلك كله تفسيراً صوتياً يبين أثر التقارب الصوتي على استقلال المواد اللغويّة عن أصلها، كما يسعى إلى تفسير ذلك برده إلى أسباب لغويّة أخرى كالقلب المكاني، أو الإعاقات النطقيّة، وغير ذلك من الأسباب اللغويّة، كما قد يسعى إلى تفسير ذلك التباين بإرجاعه إلى أسباب اجتماعيّة أو حضاريّة.

ومن متطلبات التأصيل التاريخي أنْ يُنظر إلى الأصول اللغويّة القديمة في اللغات الساميّة، فإنّ قِدَم المعنى في نصوص تعود إلى آماد عتيقة في هذه اللّغات قد يسعفنا في تأصيل الظاهرة تأصيلاً تاريخياً يقف بنا على أزمان من عمر الألفاظ، توفرها لنا النصوص القديمة من هذه اللغات التي لا تضاهيها في القدم النصوصُ العربيّة المعروفة.

وعلى هذا كان في وسعنا أن نراقب أصالة الاستعمال العربي، والحكم على قدمه أو حداثته، برده إلى تلك الاستعمالات القديمة التي ورد عليها في النقوش الأكاديّة التي قد يعود بعضها إلى ٢٤٥٠ ق.م، أو الأوغاريتية التي يرجع بعضها إلى ١٣٠٠ ق.م، أو الآراميّة التي قد تعود إلى ٨٠٠ ق.م.

وأحسب أن هذه الدراسة تقع ضمن التطلّعات التي يُسعى إليها في سبيل "المعجم التاريخي" الذي ظلّ أملاً يراود الباحثين العرب، وسوف يكون الطموح هنا محصوراً في بعض النماذج، في هذا البحث القصير، الذي لمعت فكرته – ولا شك – لدى كثير من الباحثين منذ زمن الخليل بن أحمد مروراً بأبي الطّيب اللغويّ، وأبي عليّ الفارسيّ وابن جنّي... وانتهاء بالباحثين المحدثين الذين ساروا على المنهج التاريخي المقارن، على أن هذا المجال قد برع فيه بعض المستشرقين الذين مَكّنتْ لهم معرفتهم باللغات الساميّة من تعميق نظرتهم إلى تاريخ الظواهر اللغويّة، وقد أفدت إفادة واضحة من دراساتهم، وأخصّ بالذكر جزينيوس Gesenius في معجم الألفاظ العبريّة والآراميّة في العهد القديم، ومعجم اللغة الأكاديّة لفون زودن Von Soden فقد وفّرت لي هذه الدراسات، ومعرفتي ببعض اللغات الساميّة، فرصة الموازنة بين الألفاظ العربيّة والساميّة معنى ومبنى.

وفيما يلي بعض النماذج التي تيسر لي في هذه الدراسة أن أقف عليها، راجياً أن تتاح الفرصة لمواصلة النظر في مزيد من الجذور اللغويّة للمعجم العربي.

قلّ/كلّ/قرّ/كرّ/جلّ/قلقل/قلق/لقلق/جرّ/ركّ/ركرك

بمراجعة الأصول: قلّ، وكلّ، وقرّ، وكرّ، وجلّ، يجد المرء أنها تتباعد في معاني بعض اشتقاقاتها، وتتقارب في بعضها تقارباً واضحاً.

فالكرّ الرجوع، وتكركر الرجل في أمره: تردد، والكَرّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء. والكرير: الحشرجة، والكَرْكرة: الطحن بالرحى. والكَرْتان: الغداة والعشي. والقَرْقَرة كالكَرْكَرة: صوت الضحك، وصوت الدجاج، وهدير الجمال، وفي كلّ ذلك ترجيع.

وهي معان يمكن ردّ بعضها إلى بعض، ويمكن أن يكون الرجوع والاستدارة والترديد، قاسماً مشتركاً بينها.

وقد وردت: الكَرّتان، في لهجة من اللهجات: القرّتان، بالقاف، بمعنى الغداة والعشيّ، والكركرة والقرقـرة: شـدّة الضحك. قال ابن منظور(٢): "ولعل الكاف مُبْدَلة من القـاف لقرب المخرج".

ومن معاني الكر التي التقت فيها بالأصول الأخرى أو ببعضها: الكُرُ: المكيال، والكُرُ والكَرُ (بالضم والفتح) وعاء الماء يستقر فيه ويصفو، وجمعه: كِرار، والكِـرار تذكـر بالجرار وهي في الحبشيّة الجعزيّة gʷalā (٣). والقَـرار: مستقر الماء، والقارورة وعاء الشراب. والكُرَة: البَعر، وهذا يذكّر بالكُرَة، وما تحمله من معنـى الاسـتدارة. وكذلـك: كِرار: نوع من الخرز، وفيها معنى الاستدارة، وقد جاء في معنى الجَلّة والجِلّة: البَعَر، وهي من: جلل.

وقد حدث في الكلمة قلب مكاني فقيل: رَكْرَك وكَرْكر: إذا جَبُن، وهو نوع من الاستدارة والرجوع.

وقيل في مادة: قر: القَرُ: "ترديـدك الكـلام فـي أذن المخاطب حتى يفهمه"(٤) وهو المعنى المتضمن فـي أصـل مادة: كرّ.

وجاء في مادة: قلل: القُلة: الجَرّة والجمع قِلال وقُلل، وبذا تلتقي هذه المادة مع المواد السابقة في هذا المعنى. كما التقت هذه الكلمة بكلمة: الكرّ، إذ هي مكيال. وقد فسّر ابـن منظور هذه التسمية بردها إلى مفهوم الرفع، قال: وأراهـا سُمّيت قِلالاً لأنها تُقَلّ، أي ترفع إذا ملئت وتحمل"(٥).

ومن معاني: القُلّة: الرأس، والقمّة، والسنام.

وقد يكون الجامع بين هـذه الألفـاظ مفهـوم الرفـع والارتفاع، أو مفهوم الاستدارة التي يجمعها ببعض مشتقات قر، وكرّ.

وقد جاء من هذه المادة ما يفيـد الحركـة، كالقلقلـة: الاضطراب والحركة، وهي في الحبشيّة من مـادة قلقـل، ومنها صيغة anqalqala (٦) وهي واردة في كلّ من العبريّة qilqel والسريانيّة qalqel والآراميّة qelaq بمعنى: رمى(٧)، وقُلبت القلقلة في العربيّة فجاءت منها اللقلقة، بالمعنى نفسه. ومن معنى الحركة اشتُقّ اسم القِلْقِلْ والقُلاقِل والقُلْقُلان، نبت كالعدس إذا يبس فانتفخ وهبت به الريح، سمعت تقلقله كأنه جرس. وقد جاء في مادة جلّ ما يفيد الحركة والاضطراب. وقيل في السمسم، وحب الكزبرة: الجُلجُلان، لأنـه يتقلقـل بمعنى يتحرك جيئة وذهاباً في داخل أجراسه. والجيم تتبادل مع القاف، كما في الجَصّ والقَص"(٨).

وردت مادة גֻּלָּה gullah بـالجيم فـي العبريّـة(٩) وتعني القُلّة بالعربيّة، كما وردت هذه المـادة gullatu فـي الأكاديّة وقد دلّت على جرّة الزيت، وعلى الكرة. وأحسـب أن استعمال بعض العامّة لكلمة "جُل" في الدلالة على البلّورة الكرويّة، استعمال قديـم. وقد دلت كلمة ܩܘܠܬܐ qultā على جرّة الخمر في السـريانيّة(١٠)، وجـاء جمعها على قُلَل. وعلى هذا فإن منشأ التبـاين بيـن هـذه المشتقات يعود إلى التباين اللهجيّ في نطق أصوات: القاف والكاف والجيم من جهة والراء واللام من جهة أخرى، كما قد يعود إلى القلب المكانيّ.

جـأر/جعـر

تلتقي هاتان المادتان في معنى واحد، هو التصويت، أو ارتفاع الصوت. ويبدو أنهما تعودان إلى أصل واحد، قبـل أن تفترقا لتؤدي كل منهما المعنى الخاصّ بها. فـأصبحت جأر، تدل على رفع الصوت مع تضرّع واسـتغاثة، وأمـا جعر فاختصت بالصوت القبيح يخرج من الحيوان أو مـن الاست. ويبدو أن جعر ذات أصل ثنـائي، إذ وردت فـي العبريّة גָּעָה (١١) بمعنى جأر، وخار (الثور) وانفجـر (المرء) باكياً גָּעָה בִּבְכִיָּה. ولعـل من استعمالاتها الثنائية في العربيّة، الجعة: وتطلـق علـى الاست وعلى نبيذ الشعير، وقـد جـاءت فـي السـريانيّة بصامتين وصائت ܓܥܐ geʿā وتعني: صـرخ، وخار(١٢) كما جاءت بالراء كالعربيّة ܓܥܪ geʿar(١٣).

فمادة جأر أو جعر ذات أصل واحد يدل على الارتفاع أو التضخّم، وقد ارتبطـت بـالصوت المرتفـع أو النبـت

(٢) ابن منظور، كركر، ج٥، ص ١٣٨.

(٣) Leslau, 188.

(٤) ابن منظور، قرر، ج٥، ص ٨٤.

(٥) ابن منظور، قلل، ج١١، ص ٥٦٥.

(٦) Dillmann, 411.

(٧) Leslau, 430.

(٨) عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغويّة، ص ٧٧.

(٩) Gesenius, 140.

(١٠) Fraenkel, 170.

(١١) كمال، ص ٩١.

(١٢) Costaz, 52.

(١٣) Fürst, 1270.

المرتفع، ومن هنا قيل: الجُعْرَة للشعير، غليظ القصب، العريض، ضخم السنابل، وحبه طويل عظيم أبيض... وقيل جأر النبت: طال وارتفع، ورجل جأرٌ: ضخم، وغيث جُؤَر أي مُصوّت كثير المطر.

والفرق بين اللفظتين – فيما يبدو – فرق لهجي معروف، مَرَدّه تقارب مخرجيهما، وقد أُثر عن بعض قبائل العرب إبدالهم الهمزة عيناً، كما في أشهد أنّ محمداً رسول الله: أشهد عنّ محمداً رسول الله. وقد ترتب على هذا الفرق اللهجي نموّ كثير من المواد. فكانت مادة جأر، ومادة جعر مثلاً، وهما في الحقيقة مادة واحدة. ومن ذلك أصول من مثل رأرأ بالغنم، رأرأة، ورعرع رعرعة، أي دعاها[١٤]. وما نزال نسمع آثار هذه اللهجة إلى أيامنا هذه في بعض مناطق من فلسطين والأردن، كما في: أسعلك سعال. والمقصود: أسألك سؤالاً، وصوت البقر يدعى جعاراً، لأنه ضخم. وقد جاء في المعجم أن صوت البقر جؤار، وهو الخوار. وعلى هذا فالمادتان من أصل واحد، ثم ترتب على تمايزهما اللهجيّ أن أصبح كلّ منهما تشق طريقها في اللغة بمعنى متميّز عن الأخرى. فاكتسبت كلّ واحدة معاني خاصّة لا نجدها في الأخرى. فممّا اختصت به مشتقات جعر: الجِعار: اسم لنوع من الحبال. وجَعَارِ: اسم للضبع (لكثرة جعرها) والجَعْرُ: يُبْسُ الطبيعة أي: إمساك البطن. وأما جأر فعلى أنها تطلق على الصوت الحيواني فإنها اختصت بالدعاء والتضرع، وهو ما لا نجده في جعر.

وقد وردت هذه المادة في العربيّة الجنوبيّة بالعين ج، ع، ر، وفي العبريّة גָּעַר gāʿar [١٥] وتعني انتهر، أو زجر. وأما: جأر، أو: خار فهي في العبريّة גָּעָה gāʿā . وهي في الحبشية الجعزية gaʿar بمعنى خار[١٦]، ولا أستبعد أن تكون الهاء وهي حرف حلقي يتبادل مع الهمزة والعين – قد تبادلت في جهر معهما، كما في اكفهر التي أصلها من كفر ثم بنيت على وزن أفعالّ ثم أُبدلت الهمزةُ هاء[١٧].

جشر/دشر

"جشرنا دوابّنا: أخرجناها إلى المرعى" و "جشروا الخيل وجشّروها: أرسلوها في الجشر"، والجَشَر: القوم يخرجون بدوابّهم إلى المرعى.

وقد جاءت هذه المادة في السريانيّة ܓܪܫ وفي العبريّة גרש [١٨] بالمعنى نفسه، بالقلب المكانيّ. ويلاحظ كذلك أن صوت الشين قد قابله صوت الشين في هذه اللغات، والمألوف أن يقابل السين في العربيّة شين في العبريّة والسريانيّة. ولكنها مقلوبة عن جشر. والدُشارة في العاميّة قطيع البقر، والداشر الذي يهيم على وجهه كالسائمة. والجيم تتبادل مع الدال، إذ هي صوت مركّب من الدال والشين، وقد انحلّت إلى الدال، كما في: جشيش، ودشيش[١٩].

سجم/ثجم

تدل مادة سجم على السيلان، فالدمع ساجم وسَجوم. والسحاب كذلك، أي يقطر أو يسيل.

وقد وردت هذه المادة بالثاء: فأثجمت السماء: صبّت مطرها. وتبادل السين مع الثاء ربما كان في أصل نشأته من أثر الإعاقة النطقيّة، لدى طائفة من أبناء المجتمع اللغويّ.

وقد وردت هذه المادة من ج ش م في العبريّة بمعنى: سال المطر أو ما شاكله גשם [٢٠] وفي السريانيّة ܫܓܡ من ش ج م[٢١]، ويبدو أن السين هي الأصل في العربيّة، لأنها الصوت المناظر للشين في العبريّة والسريانيّة.

دبر/زبر/زنبر

الدّبور: الحشرة المعروفة التي هي من جنس النحلة، وهي أكبر حجماً، وتأكل النحل، ولا يُشتار منها العسل. وتسمى الزُنبور. ومن هنا يأتي التساؤل، هل الزنبور والدبور يعنيان المعنى نفسه؟ فإذا استذكرنا أن الدال قد تبادلت مع الزاي في اللغات الساميّة[٢٢] فلم يعد مستبعداً

(١٤) ابن منظور، رأرأ، ج١، ص ٨.

(١٥) Gesenius, 146.

(١٦) Leslau, 174.

(١٧) عمايرة، معالم دارسة في الصرف، ص ٣٣.

(١٨) Gesenius, 149.

(١٩) عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغويّة، ص ٧٦.

(٢٠) Gesenius, 150.

(٢١) Brockelmann: Syriacum, 755.

(٢٢) انظر عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص ٣١.

أن تكون الكلمتان من أصل واحد. ولعلّ التفسير الأنسب لتبادل الزاي والدال أن بعض الناس كان يتخلّص من انفجاريّة الدال بإشرابها قدراً من الهمس، كما هي الحال مع التاء، إذ يُتخلّص من انفجاريتها بقدر من الهمس، كما هي الحال في نطق بعض أهل المغرب للتاء، في نحو: تفاح التي تنطق tsuffāḥ وهو نوع مما سمي الكسكسة قديماً، وأما الهمس مع الدال المجهورة فيكون مجهوراً، وبذا تكون قد مُزجت بالصوت المركّب dz صفتا الشّدة والرخاوة وهو ما يُسمّى affrication، ومن هنا يتشكل صوت الزاي، كأن تنطق كلمة دبّور dzabbūr ثم يُتَخَفّف من الدال لتبقى الزاي وحدها. أما النون في زنبور فهي زائدة، ربما لفك الإدغام من الباء المشددة، ويشجع على احتمال زيادة النون ورود الكلمة بدون نون في بعض مشتقاتها، إذ يقال: أرض مَزْبَرَة: كثيرة الزنابير.

وقد جاء في معنى هذه الكلمة أنّها تدلّ على النحل، وعلى الزنابير، بخلاف ما نُقل عن الأزهري عن مصعب ابن عبد الله الزبيري، قال: "الدبر الزنابير، ومن قال: النحل، فقد أخطأ"[٢٣] وواقع الحال أن دلالاتها على النوعين ساميّة قديمة، إذ هي في العبريّة דְּבוֹרָה deb̲ōrā وتعني الدّبر والنحل[٢٤] وفي السريانيّة ܕܒܘܪܐ dēb̲urā وتعني الزنبار، و ܕܒܘܪܬܐ dēbōrtā أو ܕܒܘܪܝܬܐ dēbōrīṯā وتعني النحلة[٢٥]، وفي الآرامية الفلسطينية דְּבוֹרִיתָא debbōrīṯā و דַּבְרִיתָא dabrīṯā[٢٦]. وقد دلت في الآراميّة القديمة dbrh[٢٧] على النحلة والزنبار معاً.

دمل/دبل/ذبل/زبل/زنبل/دمن/دمر

جاء في اللسان أن الدُّبلة تُصغّر على دُبَيْلة، وهي خرّاج ودُمّل كبير، تظهر في الجوف لتقتل صاحبها غالباً. وبذا تلتقي مادتا: دبل، ودمل، على معنى واحد، وهو: الدمّل. وقد انتقلت دلالة ذلك إلى المرض الخطير والداهية، فقيل: الدَّبْل: الداهية، ودبلتْهم دُبَيْلة أي هلكوا، بالدال والذال، والدَّبْل: الطاعون. كما انتقل المعنى إلى الهوان، فقيل: دِبْل دابل بالدال غير المعجمة، وقيل ذِبْل ذابل بالذال المعجمة، وهي لهجة تبادلت فيها الدال مع الذال، وهو نوع من التخلص من انفجاريّة الدال عند من يحيلونها ذالاً، أو نوع من التراجع عن مخرج الذال اللسانيّة الأسنانية إلى مخرج الدال. والظاهرتان معروفتان عربيّاً وساميّاً.

وقد دلت المواد: دبل ودمل ودمن على الزّبل، أو السماد، والجامع بين هذه وتلك، التغطية والدفن، فالدَّبال: السّرجين (أي: الزبل)، ودَبَلْت الأرض ودَمَلْتها بالمعنى نفسه، أي دفنت فيها السماد أو أصلحتها بالزبل، وقال ابن منظور "دمنتُ الأرض مثل دَمَلْتُها"[٢٨] وقيل في الدَّمان بالنون: الدَّمال باللام، وقيل: الدَّمار بالراء، وكلها بالمعنى نفسه[٢٩]. وعلى هذا التقت المواد: دبل، وذبل، وزبل، ودمل، ودمن، ودمر.

إن تبادل هذه الأصوات الدال والذال والزاي ظاهرة تعرفها العربيّة واللغات الساميّة، ومن أمثلة تبادل الذال والزاي: الزَّوْح والذوح أي السَّوق الشديد[٣٠] وزبرت الكتاب وذبرته: قرأته[٣١] . ومن أمثلة تبادل هذه الأصوات في اللغات الساميّة، أن كلمة: ذَنَب، بالذال المعجمة قد قابلتها في الآراميّة dunbā وهي في كل من العبريّة zānāb والحبشية zänäb بالزاي[٣٢] . وقد يكون منشأ هذه الظاهرة اختلافاً لهجياً، أو إعاقة نطقيّة. أمّا تبادل الباء والميم فكثير، وهنا يبرز أثر الظاهرة المرضية في الباء والميم، حين لا يخرج الهواء بوضوح من الأنف حتى في الحالة الفرديّة، حين يكون المرء مصاباً ببعض عوارض الطقس المعروفة. ويبدو أن العلاقة قائمة بين الدمّل، وتسمية الأبرص بالأدمل. وأمّا اللام والنون والميم فتبادلها معروف. ونودّ – بصدد الحديث عن الإعاقة النطقيّة – أن نشير إلى أنها مجرد سبب محتمل، كما هي الحال بتأثر اللغة بلغة الأطفال، فتبادلت بذلك الراء واللام. وكلها أسباب تؤثر بمقدار في الظاهرة اللغويّة، وفي حالات محتملة مُسَوّغة.

---

(٢٣) ابن منظور، دبر، ج٤، ص ٢٧٥.

(٢٤) Fürst I, 258.

(٢٥) Brockelmann: Syriacum, 140.

(٢٦) Brockelmann I, 445; Genenius 152; Fraenkel, 29.

(٢٧) Degen, 48.

(٢٨) ابن منظور، دمن، ج١٣، ص ١٥٨.

(٢٩) ابن منظور، دمن، ج١٣، ص ١٥٩.

(٣٠) ابن منظور، زحح، ج٢، ص ٤٦٨.

(٣١) ابن منظور، زبر، ج٤، ص ٣١٥.

(٣٢) Bergsträsser, 148; Leslau, Arabic Loanwords, 332.

إن هذا القدر المشترك من معاني هذه المفردات يعود إلى التباين اللهجي، وبخاصة أن الأصوات التي مايزت بينها تتبادل في العادة. وقد تكون الإعاقة المرضيّة كما رأينا في دبل ودمل، سبباً من الأسباب، حتى في مراحل البيئة اللهجيّة الواحدة. واللغة ظاهرة اجتماعيّة، قابلة لأن تتأثّر بما يتلقاه المجتمع من الأسباب المؤثرة كالمرض وسواه.

لقد احتفظت كل مادة من هذه المواد بالقدر المشترك الذي يعود بها إلى توحدها في أصل تاريخي واحد، ثم أخذت كل منها تنمو على نحو مستقل، فكان لها ما يميّز حياتها، بل لقد حدث في حياة الكلمة في مسارها الخاص تمايز كبير، وصل بها من النقيض إلى النقيض، فمن مكتسبات الذمل الدلالة على الخسة، والدلالة على الرحمة والرفق، والدلالة على الجزية أيضاً.

وربما كشفت المقابلة بين العربيّة وبعض اللغات الساميّة عن توسع آخر في الاشتقاق، فقد رأينا في العربيّة أن الدَّبْل: الطاعون والبلاء والداهيّة، وقد وردت بالرّاء: الدبّار بمعنى الهلاك والدَّبَرة: القُرحة، وأما في العبريّة[33] فقد وردت דֶּבֶר دالة على الطاعون والوباء، وفي الأكاديّة[34] dibiru بالراء وتعني البلاء والداهية. كما وردت domen دالة على الزبل في العبريّة[35].

ولم تخف على ابن منظور العلاقة بين مادتي: زبل وزنبل، بدليل أنّه كرّر في: زنبل المعاني التي وردت عليها، في: زبل. وقال في زنبل: "والزّنْبيل والزّنبيل، لغة في: الزبيل"[36] وحدّ معناها في زبل، إذ هي الجراب أو القُفّة. وذكر الجوهري في مادة: زبل شكلين للمادة: زبِّيل، وزِنْبيل وقد جاءت هذه المادة الأكاديّة دالة على الحَمْل zabālu ومن أشكالها المشدّدة zabbīlu وتعني السلّة أو القُفّة التي يُحمل بها، وكل هذا دالّ على ارتباط وثيق بمفهوم الزّبل، وهو الروث لأنه يُحمل بالزّبيل أو الزّنْبيل، وقد دلت كلمة סָבַל sābal على الحَمْل، ومنها סַבָּל sabbāl على الحمّال الذي يمتهن الحَمْل[37] كما دلت ܣܒܠܐ على وعاء الحمل في السريانيّة.

(33) كمال، ص ٩٦.

(34) Von Soden, 168.

(35) Gesenius, 165; Fürst I, 302.

(36) ابن منظور، زنبل، ج٦، ص ٣١٢.

(37) Shachter, 533.

دود/ذود

استعملت مِذْوَد في العربيّة الفصحى بالذّال المعجمة، وهي تعني مِعْلَف الدوابّ، وقد استعملت هذه اللفظة في العاميّات بالدال المعجمة والمهملة، بالمعنى نفسه. وأحسب أن الدال المهملة كانت بتأثير من اللغات الساميّة كالسريانيّة والعبريّة. وقد استعملت هذه اللفظة في الأكاديّة dūdu بمعنى الحلّة، والزبديّة، وقد وردت هذه اللفظة بالعبريّة דּוּד dūd بمعنى المرجل أو الوعاء الكبير تحفظ به السوائل، وقد استعملت أيضاً بمعنى السلّة[38].

دور/دهر

تدل مادة دور على الدوران والاستدارة، ومن ذلك البيت المستدير والدّوار يصيب الرأس، ودائرة السوء... وقد جاء من هذه المادة ما دلّ على الدهر، فالدّواري الدهر الدائر بالإنسان أحوالاً، والدهر دوّار بالإنسان ودَواريّ، أي دائر به[39].

والسؤال: هل من علاقة اشتقاقية بين الدهر، و: دور، بعد أن رأينا العلاقة المعنوية واضحة.

لقد هُمزت بعض مشتقات دور، فجَمْع دار أدْوُر، وأدؤر. قال الجوهري في همزة: أدؤر "الهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة. ولك أن لا تهمز"[40].

ويقال: دائرة، وديرة.

فاحتمال قلب الهمزة هاء، عند من يقلبها همزة، أمر وارد، وعلى هذا، قد تكون دور أصلاً لـ: دهر.

ومما يؤكد عودة الدهر إلى دور في اللغات الساميّة أن الأكاديّة[41] جاءت فيها dūru(m) فدلت على الاستدارة وعلى الدهر، وهي في الآرامية القديمة dūr وفي السريانيّة ܕܘܪܐ ، ܕܘܪܐ وقد دلت على المنزل لاستدارته، ودلت dūru(m) على الأبدية في الأكاديّة. وفي العبريّة دلت דּוֹר dōr على الزمن أو العصر[42] كما دلت דּוּר dūr و דָּר dār على

(38) كمال، ص ٩٨؛ Fürst I, 290.

(39) ابن منظور، دور، ج٤، ص ٢٩٥.

(40) الجوهري، الصحاح، دور، ج٢، ص ٦٦٠.

(41) Von Soden I, 178.

(42) كمال، ص ٩٩.

المكان أو السكن لاستدارته[٤٣]، وربما كانت كلمة تارة وكلمة طور على علاقة أصليّة بدار يدور مع تبادل الدال مع التاء والطاء، إذ الطور يدل على الحقبة الزمنيّة، وكذلك التارة.

دنس/دسم/سمد/ثدن/ثدم

جاء في تعريف الدَّسم أنه الدَّنس والوَضَر، والثياب الدُّسم: الوسخة، وقد انتقلت هذه الدلالة من الحسي إلى المعنويّ، فقيل للرجل إذا تدنس بمذام الأخلاق: إنه لدسِمُ الثوب[٤٤].

وجاء في مادة دنس: الدَّنَس في الثياب لَطَخُ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق"[٤٥].

وقد وردت هذه المادة في بعض اللغات الساميّة من مادة د ش ن ففي العبريّة דֶּשֶׁן dešen وتعني: الدهن، والدسم، والسماد[٤٦].

فالدسم تقابله في العبريّة דֶּשֶׁן بتبادل النون والميم الأنفيتين[٤٧]. وأما النون في دنس فهي على الأصل مع القلب المكاني د سن ← دنس. وقد جاءت هذه المادة في الأكاديّة بالميم duššum(um) [٤٨]، ولا يستبعد أن تكون سمد، ومنها السماد على علاقة بذلك، مع القلب المكاني لـ: دسم ← سمد.

نار/نهار

إذا رجعنا إلى تعريف النهار في المعجم فسوف نجد أن النهار ضياء، وانتشار الضوء، وهو ضد الليل، وفيه معنى الاتساع، بعكس الظُّلمة، ولذا قيل: استنهر الشيء: اتسع، وقيل في تفسير: "جنات ونهر": ضياء وسعة. فالنهار نور، والنار نوع من النور.

وقد وردت مادة نهر في العبريّة فـ נוּרָה nūrā ضوء ومصباح، و נְהִיר nehīr مضيء[٤٩]، وقد

(٤٣) Fürst I, 292.

(٤٤) ابن منظور، دسم، ج١٢، ص ١٩٩.

(٤٥) ابن منظور، دنس، ج٦، ص ٨٨.

(٤٦) كمال، ص ١٠٩؛ Gesenius, 170.

(٤٧) Fürst I, 309.

(٤٨) Von Soden I, 178.

(٤٩) كمال، ص ٢٩٨.

دلت هذه المادة في العبريّة على اللؤلؤ[٥٠]، ودلت في السريانيّة على اللمعان والشفافيّة، وهي صفات في الماء واللؤلؤ، فقيل: ܢܗܝܪܐ ܢܘܗܪܐ ولعلّ دلالتها على نهر الماء جاءت من هذا المفهوم، أو من عكسه للضوء، إذ اللؤلؤ مرتبط بالماء، ووردت في الآرامية נהר وفي السريانيّة ܢܗܪܐ بمعنى: مضيء و nahrā بمعنى النهر[٥١] وهي فيهما بالهاء.

وقد جاءت لفظة النهر (نهر الماء) في الأكاديّة دون هاء nāru(m) [٥٢] بخلاف العربيّة (نهر) والعبريّة נָהָר nāhār وفي الحبشية nahr أو nahar بتحريك الهاء كما هي الحال في العربيّة، إذ قد تُحرك الهاء أو تُسكّن، وفي السريانيّة ܢܗܪ nehar بتحريك الوسط أو ܢܗܪܐ nahrā بتسكينه، وتعني النهر[٥٣].

وكما دلّت نهار على الضياء مطلقاً، وعلى ضياء النهار تخصيصاً، فقد دلت عليهما في العبريّة، إذ هي נְהָרָה nehārā، وفي السريانيّة دلت ܢܗܘܪ nehūr على النور والبصر[٥٤].

وخلاصة القول في هاتين المادتين: نور ونهر أنهما من أصل واحد يدل على النور. وهذا الأصل ثنائي، من النون والراء. وقد أخذ هذا الأصل ينمو اشتقاقاً، واتسعت دلالته معنى، ثمّ أخذ كل اشتقاق مسيرته الذاتية، التي يردّ إليها ما اكتسبه من فروق معنويّة جديدة. وقد تكون الهاء ناجمة عن نأر بالهمز، على أننا لا نجد لنأر من علاقة مباشرة بهذه المعاني، فهي تدل على دخان الشحم، وربما صحبه شيء من النور، فإنْ صحّ ذلك كانت الهاء من باب التبادل بينها وبين الهمزة.

زحّ/زاح (زوح، زيح)/زحزح/حزحز/زاخ

إن صلة القرابة شكلاً ومضموناً تبدو واضحة في هذه المواد، ويبدو أنها تعود إلى أصل ثنائي واحد: الزاي والحاء، وزحّ الشيء زحّاً جذبه في عجلة، أي زحزحه،

(٥٠) Gensenius, 489.

(٥١) Brockelmann: Syriacum, 417.

(٥٢) Von Soden II, 748.

(٥٣) Costaz, 198.

(٥٤) Costaz, 198.

وهو ما تعنيه زاح المعتلة، فزاح الشـيءُ يـزوح تبـاعد. والزَّوح والزيح ذهاب الشيء وتَفَرُّقه. وقد قلبـت زحـزح فقيل: حزحز عن المكان[٥٥] كما تبادلت الحاء والخاء فقيل: زاح وزاخ[٥٦].

وقد أشار الأزهري إلى إدراك بعضهم للصلة بين هذه المواد، إذ رُدَّت زحح إلـى المعتـل فقيـل: أصلهـا زاح يزيح[٥٧].

وقد وردت هذه المادة في بعض اللغات الساميّة[٥٨]، إذ هي في العبريّة: זחח وفي الآرامية זוח وفي السريانيّة ܙܚ zāḥ، بمعنى: تحرّك[٥٩].

وأحسب أن كثيراً من المواد ثنائية الأصل، التي سُمّيت مضعّفة مثل خضّ، وزعّ يمكن أن ينطبق عليها ما انطبـق على زح، وزيح وزوح، من حيث عودتها إلى أصل تاريخي واحد.

وقد أشار بعض اللغويين القدماء إلـى بعـض هـذا، فخضخض التي تعالج في خضّ أشار ابن منظـور إلـى أن أصلها من خاض يخوض، ثم قال: لا من خضّ يخضّ"[٦٠]. والذي أراه أن البناء الصوتي للكلمة والدلالة المعنوية تردّان هذه الأصول إلى أرومة تاريخيّة واحدة.

ولنأخذ مثلاً آخر بـ زعّ، وزعزع، وزاع، فكلها تـدل على الحركة الشديدة، ولعلّ وزع مقلوبة عـن زوع، فهـذه المواد ذات أصل واحد. وهو أصل وارد في بعض اللغـات الساميّة إذ هي في العبريّـة זוּע zūwwaᶜ وفـي السريانيّة ܙܘܥ، وقد دلت في العربية والآراميّة[٦١] على الزلزال zōᶜā وفي السريانية zawᶜā و zayᶜā أي زلزال[٦٢]، وقد سُمّي طائر الصُرَد زاعاً لاهتزازه، وقد وردت هذه التسمية في الأكاديّة أيضـاً للطائر نفسه zū [٦٣]. بسقوط العين من الأكاديّـة كتابـة لا نطقاً، إذ نظام الكتابة الأكاديّة منقول عن السـومريّة التـي تفتقر إلى كثير من أصوات الحلق الساميّة، ومنها العين.

ولعلّ المقابلة بين اللّغات الساميّة – كما رأينا – تعزز ما ذهب إليه اللّغويون العرب بعَدّ الألف في زاع منقلبة عن واو لا عن ياء، إذ هي في كل هذه اللغات بالواو. جاء فـي اللسان "وإنما قضينا على أن ألـف الـزاع واو، لوجودنـا تركيب: زوع، وعدمنا تركيب: زيع، قال (ابن سيدة): ولو لم نجد هذا أيضاً لحكمنا على أن الألـف واو، لأن انقـلاب الألف عن الواو وهي عين، أكثر من انقلابها عنهـا وهـي ياء"[٦٤].

على أن للمرء أن يتحفّظ على اعتماد الشـيوع أساسـاً يُعْتَدّ به في معرفة الأصل التاريخي للظواهر، فكثيراً ما كان الأصل التاريخي قليلاً أو مهجوراً، وعلى العموم، فالشـيوع والتردّد يُنْبئان عن الظاهرة في صورتها الوصفية بحسـب واقعها الذي آلت إليه، لا بحسب ماضيها، وما كانت عليه.

زعق/صعق/زعج

ثمة معان خاصة بكل مادة من هاتين المادتين، ومـن بين المعاني الكثيرة التي اتجهت إليها كل مادة في سـيرتها الخاصة، نجد بعض المعاني المشتركة التي تنبئ باحتمال أن يكون هذا المعنى المشترك معبراً عن مرحلة قديمة، كـانت فيها هاتان المادتان مادة واحدة، ذات معنى واحد. ولذا فإننا نضرب في مادة: زعق، صفحاً عن دلالتها على الماء المُرّ أو المالح، ولدغ العقرب، والفزع، كما نضرب فـي مـادة صعق صفحاً عن بعض معانيها الخاصّة كالموت، والعذاب، فإن هذه المعاني – وإن كانت تُرَدّ بحسن التأتّي والتلطـف إلى المعنى الأصلي – إلا أنّهـا تمثـل خصوصيـة مـن خصوصيات السيرة الذاتية التي اكتسبتها كـل مـادة بعـد انفصالها عن الأخرى، وحياتها حياة لغويّة خاصة.

ولكننا نجد دلالة هاتين المادتين في أصل دلالي واحد، وهو الصياح، والصوت المرتفع، ثم أخـذ هـذا الصـوت يتمايز، فاقترانه بالنار، أصبح من دلالات صعق، وهو ما لا يُشترط في مادة زعق.

وقد وردت هذه المادة في العبريّة بالزاي זָעַק zāᶜaq وهي كذلك في الآراميّة القديمة[٦٥] זעק

[٥٥] ابن منظور، زحح، ج٣، ص ٤٦٨.

[٥٦] ابن منظور، زوح، ج٢، ص ٤٧٠.

[٥٧] ابن منظور، زوح، ج٢، ص ٤٧٠.

[٥٨] Gesenius, 196.

[٥٩] Costaz, 86.

[٦٠] ابن منظور، خضض، ج٧، ص ١٤٤.

[٦١] Gesenius, 196.

[٦٢] Costaz, 86.

[٦٣] Von Soden III, 1535.

[٦٤] ابن منظور، زوع، ج٨، ص ١٤٥.

[٦٥] Gesenius, 302; Fürst I, 361.

والسريانيّة ܙܥܩ (٦٦). وأحسب أن استعمال بعض العامة في زماننا لمادة: زعق، بمعنى نادى بصوت مرتفع، يتفق وهذا الاستعمال القديم، من نحو زعقة المؤذن: نداؤه للصلاة. ومن أشكالها بالصاد في العبريّة צָעַק (٦٧).

ولا أستبعد أن تكون زعج منتمية إلى الأصل نفسه، مع تبادل بين الجيم والقاف. وقد تكون القاف البدويّة (g) درجة من درجات التفاوت في نطق هذا الصوت، كما أن الزاي – وهي شديدة الجهر – قد تكون درجة من درجات الحاجة القصوى إلى رفع الصوت، في مقابل السين المهموسة المرققة أو الصاد المهموسة المفخمة، وكلها تعبر عن أنواع متعددة من التصويت.

حوب/خوب/خيب

أول ما يطالعك في اللّسان عن مادة حوب، معان تبتعد بالمرء عن الأصل التاريخيّ لدلالة هذه المادة، فالحَوْب والحَوْبة: الأبوان والأخت والبنت، وقيل هم القرابة من قبل الأم. وقيل النساء المحتاجات، والأقرب إلى الأصل التاريخي أن يكون معنى الحوبة سلبياً دالاً على الحاجة والهمّ والغم، والهلاك والإثم، وحَوبُ الأم على ولدها رقتها وتوجعها(٦٨).

والعلاقة بين معاني الأرحام، والنسوة المحتاجات، وبقيّة المعاني علاقة قائمة، كالعلاقة بين السبب والمسبب.

وقد ورد في مادة خوب ما يشير إلى معنى الافتقار، والمجاعة، والأرض المجدبة، وقد اقتربت مادة خيب بالياء من بعض هذه المعاني، فالخيبة حرمان وخسران، وقد أشير إلى تعاور الواو والياء، فجاء في مادة خيب أنّه يجوز أن يقال: خاب يَخيب ويَخوب.

وقد وردت هذه المادة في بعض اللغات الساميّة بالواو(٦٩) فهي في الآراميّة חוב ، وفي العبريّة(٧٠) بالواو أيضاً חוֹב ḥōb و חוֹבָה ḥōbā وتعني دَيْن وإثم، وفي السريانيّة hawbtā أي: إثم أو دَين(٧١) وهي في هذه اللّغات بالحاء المهملة، ولم ترد بالخاء. غير أنّ تبادل الحاء والخاء معروف بين اللّغات الساميّة؛ فكلمة أخ بالخاء المعجمة تقابلها في العبريّة والآراميّة الحاء المهملة. وهما من الأصوات المتقاربة مخرجاً.

خزر/خنزر

وردت مادتا خزر وخنزر في المعجم، وهما على قدر واضح مشترك من المعنى، بل لقد أحال ابن منظور في إحداهما على الأخرى، عاداً خنزر من أصل خزر، وهذا يعني أن النون في خنزير زائدة، وقد سُمّي هذا الحيوان بهذا الاسم لصفة في عينه كانكسار العين، أو ضيقها، أو لحول فيها. ولا يستبعد أن تكون النون قد أقحمت على الكلمة حال تضعيفها: خزّير، إذ يفك الإدغام بإقحام النون فتصبح خنزير، كما حدث في إجّاص وإنجاص، وقُنّذ وقنفذ وسُبُلّة وسنبلة... وقد جاءت كلمة خنزير في الحبشيّة بالنون والخاء كالعربيّة ḫanzīr (٧٢) وقد فُكّ الإدغام في الأكاديّة بإقحام الميم فقيل: ḫumṣēru كما فُكّ الإدغام بالباء في الأكاديّة أيضاً فقيل: ḫabaṣiru (٧٣).

وقد جاءت خنزير في العبريّة بالحاء وبدون نون חֲזִיר ḥazīr وهي في السريانيّة ܚܙܝܪܐ بدون نون(٧٤).

إنّ ظاهرة فك الإدغام قد أدت إلى نشوء مواد كثيرة، نحو: جلعد، وجعد، وجلمد وجمد، وهي ظواهر قديمة؛ فقد وردت גַּלְמוּד galmūd في العبريّة بفك الإدغام باللام(٧٥)، وكذلك גִּלְעָד gilʿād.

حلك/كلح/حكل/كحل

ليست المعاني المتقاربة لمادتي: حلك، وحكل، هي ما يلفت الانتباه، وإنما التقاؤها على المعنى نفسه، يقول ابن منظور: "في لسانه حُلْكة كحُكْلة" فلا شك أن هذا نوع من القلب المكاني. والمعنى هو المعنى القديم للكلمة التي دار معها في شكلها الأصلي والمقلوب. وقد جاءت هذه المادة

(٦٦) Brockelmann: Syriacum, 203; Costaz, 90.

(٦٧) كمال، ص ٤٠٧.

(٦٨) ابن منظور، حوب، ج١، ص ٣٣٧.

(٦٩) Gesenius, 216.

(٧٠) كمال، ص ١٦٢.

(٧١) Costaz, 98.

(٧٢) Dillmann, 109.

(٧٣) Gesenius, 221.

(٧٤) كمال، ١٦٥؛ Fraenkel, 111; Gesenius, 221.

(٧٥) Gesenius, 142.

في كل من الأكاديّة والعبريّة من مادة حكل، ففي الأكاديّة eklitu وتعني الظلّمة أو الحُلْكة، كما دلت في كثير من اللغات الساميّة على ظلمة العين وسوادها وعكرها، ولعل مادة: كحل، على علاقة بتقلبات هذه المادة، ومن هنا جاءت دلالة كلمة الكُحْل وارتباطها بالعين في كلّ من العربيّة والحبشيّة والعبريّة[٧٦]، وأما حُكلة اللسان فهي من باب حُكلة العين أو حُلكتها، أي عدم سويتها في الرؤية، ومن باب كُلحة اللون، حين لا يحتفظ بأصله.

خاق/حاق

جاء في معنى الخوق: الحلقة وتدل هذه المادة على الاستدارة والتَحلُّق، وهو المعنى نفسه الذي دلت عليه مادّتا حوق وحيق. إلاّ أن كل مادة لّما استقلت اتخذت بعض المعاني الخاصّة بها.

وقد وردت هذه المادة في العبريّة بالحاء والياء חֵק hēq [٧٧]، وأمّا في الأكاديّة فالكلمة المقابلة hiāqum بالخاء والياء[٧٨].

ويبدو أن الاختلاف اللّهجيّ أدّى إلى هذا التباين الذي ترتب عليه لاحقاً أن يصبح لكل لفظة حياتها الخاصة بمكتسباتها المعنويّة الخاصة. بيد أنّ المعنى القديم الذي يعود إلى رجوع هذه المواد إلى أصل واحد ظلّ ماثلاً بينها.

حمس/حمش/حمرس/رمحس

حمس وحمش مادتان مختلفتان في المعجم، بين اشتقاقات كلّ منهما فرق واضح، والتقاء واضح أيضاً. فقد اختصت الحميس، من حمس، بالدلالة على التنّور. ولا نجد ذلك في حمش، وكذلك الحمس بمعنى الضلال، والأحامس بمعنى الأرَضين، التي ليس بها كلأ ولا مرتع ولا مطرٌ ولا شيء... وإن كانت هذه المعاني تُرَدّ برفق إلى معنى الشدّة، وهو المعنى الذي تلتقي فيه هذه المادة بمادة حمش. وقد التقت هاتان المادتان التقاء التطابق في بعض المعاني، فقيل: حمس الشرّ وحمش: اشتد، واحتمس الديكان واحتمشا اقتتلا.

وتخلّقت من حمّس المضعّفة مادة جديدة، وهي حَمْرَس، إذ فُكّ الإدغام بإقحام الرّاء، كما في قنّبيط وقرنبيط، وكما في بطيخ وبرطيخ: فالحُمارِس: الشديد، وهي اسم للأسد، وقد قلبت هذه المادة فنشأت مادة جديدة أخرى، فقيل للأسد، الرُّماحس، وهي من رمحس: أي الشجاع.

لقد أشار بعض القدماء إلى أن تبادل السين والشين من أثر اللهجات[٧٩]. وكما حدث في بعض فروع حمس أنواع من القلب فقد حدث الأمر كذلك في بعض فروع حمش، فالحِمشة الغضب، وقد تقلب فتصبح حِشْمة[٨٠].

وقد وردت هذه الكلمة في لفيف من اللغات الساميّة بالسين، فهي في العبريّة والآراميّة المصريّة بالسين (السامخ) חמס [٨١] وفي الأكاديّة emēsu. وقد وردت هذه الكلمة في العبريّة بالشين חָמֵשׁ hāmēš بمعنى القوي المتحمس، كما وردت بالصاد في العبريّة التلموديّة חָמֵץ hamēṣ [٨٢].

ولست أدري، هل تعود هذه الجذور الثلاثيّة إلى أصل ثنائي هو: حم، الذي انشعبت منه حَمِيَ، فقيل: حمي الوطيس إذ اشتد؟

حنّ/حنا (حنو، حني)

تلتقي هذه المواد في معنى العطف، وإن كان العطف المعنوي يغلب على حن، وأمّا حنا الشيء وانحنى فبمعنى انعطف، والعطف هنا يعني الانثناء والاعوجاج، أي الانحناء. وقد دلت حنى كذلك على العطف المعنويّ، وقد رُوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لنسائه "لا يحني عليكن بعدي إلاّ الصابرون" أي لا يعطف ويُشفق.

وقد استُعملت المادتان حنّ وحنا للدلالة على الصوت ذي الرّجع، فحنت القوس من حنّ وحنا. وقد ورد هذا المعنى في المادتين من المعجم بمعنى صوّتت، وحنت المرأة بمعنى عطفت، وهو معنى وارد في المادتين.

وقد قيل حنيتُ وحنوتُ بالياء والواو، وهذا من أثر اختلاف اللهجات[٨٣]. ويبدو أن المادة بالواو قد مالت إلى

---

(٧٦) Gesenius, 341.

(٧٧) كمال، ص ١٦٧؛ Gesenius, 228.

(٧٨) Von Soden I, 342.

(٧٩) ابن منظور، حمش، ج٦، ص ٢٨٨.

(٨٠) ابن منظور، حمش، ج٦، ص ٢٨٨.

(٨١) Gesenius, 241.

(٨٢) Fürst I, 413.

(٨٣) ابن منظور، حنا، ج ١٤، ص ٢٠٦.

الاختصاص بالتعبير عن العطف المعنويّ، ومالت الصيغة بالياء إلى الاختصاص بالتعبير عن الانحناء الماديّ.

وقد وردت مادة חנה في العبريّة دالة على الانحناء[٨٤]، وهي في الآراميّة الفلسطينية חנא وفي الآراميّة القديمة وردت מחנת[٨٥] وفي السريانيّة ܚܢܝܬ[٨٦] وقد سميت القوس في العبريّة ḥanīt ويقابلها في العربيّة الحنيّة وهي القوس.

والذي أراه أن هذه الكلمة ثنائية الأصل، تدلّ على الانعطاف والانثناء في أصل معناها، ثمّ بدأت تتشكل في رحلة الزمان في مبناها ومعناها، حتى لقد استهجن بعضهم أن يُردّ الحنّان، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، إلى الحنين، ورُوي عن الأزهري قوله: "وكان بعض مشايخنا أنكر التشديد فيه لأنه ذهب به إلى الحنين، فاستوجب أن يكون الحنين من صفات الله تعالى، وإنما الحنّان الرحيم من الحنان، وهو الرحمة"[٨٧].

ومبْعث هذا الاستهجان اختلاط الحسّ الوصفي الذي ينظر إلى الكلمة بحسب ما آلت إليه، والحس التاريخيّ الذي يستشعر المعنى من خلال الأصول التاريخيّة لمادته.

حرّ/خرّ/خرب/خرت/خرم/نخرب/خرنب/نخر

ثمة قاسم مشترك من المعنى يتردد بين هذه المواد، فيقال مُخَرّم الأذن ومُخَرّب الأذن بمعنى متقوب الأذن، وخُرْبَة الأذن ثقبها. والخَرْت هو الثقب في الأذن، وكذلك الخُرْم. وقد دخلت النون فقيل: نخرب القادح الشجرة بمعنى ثقبها، وقد عُدّت نخرب في باب الرباعي، وأشير إليها في الثلاثي خرب أيضاً. ومن مادة خرب جاءت خرنوب، حيث أقحمت النون لفك الإدغام في خرّوب. وقد جاءت كذلك في مادة مستقلة: خرنب، كما أشير إليها في خرب.

ويبدو أن هذه المواد ثنائية الأصل، وقد احتفظت: خرّ، بما تلتقي به مع خرم، وخرت وخرب، فالخُرّ في بعض اللهجات[٨٨] هو أصل الأذن، أي الثقب، والخُرّ من الرحى، اللّهْوة، أي الثقب الذي تُلْقى فيه الحنطة. ويبدو أن التاء في خُرت للتأنيث، أضيفت إلى الثنائيّ، كما في أخت وبنت، وأمّا الميم التي تبادلت مع الباء، فهي إما أن تكون التوسعة التي طرأت على الكلمة حتى أصبحت ثلاثيّة، قياساً على: وَي، التي أصبحت في شكلها الثلاثي: ويح، أو ويل، أو أن تكون الميم فيها بقايا التمييم الذي نجده في الأكاديّة، ونجد له بقايا في العبريّة، نحو يومَم، أي يوماً ما، وبقايا في العربيّة، نحو: فم، وابنُم. وعلى هذا تكون كلمة خُرّ العربيّة موازنة لكلمة hurr الأكاديّة، إذ هي مع التنوين hurrum وأحسب أنّ نخر، تعود إلى: خرّ، ومنها المنخر، وهو ثقب الأنف، وعلى هذا فالنخير صوت الهواء، يخرّ من ثقبي الأنف، والنون زائدة، وقد تكون الزيادة بالشين في: شخير. وزيادة النون والشين تعرفه بعض اللغات الساميّة، ومنه في العربيّة: الشملق وهي العجوز المتملقة، ويقال في بعض العاميات: شقلب الحذاء إذا قلبه[٨٩]، ومن الزيادة بالنون، النفاطير، وهي من الفِطْر. قال ابن منظور في الشخْر: "وقيل الشخر كالنخر"[٩٠].

وقد ورد هذا الأصل في كثير من اللّغات الساميّة. ففي العبريّة חרר وتعني خرم، أو ثقب وهي بالحاء، وقد جاءت كلمة ܚܘܪܐ بالسريانيّة وتعني ثقب الإبرة، وفي الآرامية חוֹרָא ḥōrā وفي الأكاديّة بالخاء hurru وتعني ثقب، وفي السبئية بالحاء ح ر ر[٩١]. وقد دلت في الأكاديّة على الثقب وعلى النار. وفي العبريّة دلت חָרָר ḥārr على الاشتعال، والحرّ[٩٢] وأحسب أن الحرّ بمعنى الفرْج، والحرّ بمعنى النار لها علاقة بمعنى الثقب، وأما الفرج فالعلاقة واضحة، وأما الحرّ والنار فلعل مبعث ذلك اعتقاد بأن النار قد تنبعث من كُوىً وثقوب. وقد دلّت harama في الحبشيّة على ما دلت عليه نظيرتها: خرم في العربيّة. وهي بالخاء[٩٣].

ومن ذلك: الخِراء، وهو: البُراز.

---

(٨٤) Fürst I, 415.

(٨٥) Gesenius, 243.

(٨٦) Costaz, 110.

(٨٧) ابن منظور، حنن، ج١٣، ص ١٢٨.

(٨٨) ابن منظور، خرر، ج٤، ص ٢٣٦.

(٨٩) انظر عمايرة، معالم دارسة، ص ٢٥.

(٩٠) ابن منظور، شخر، ج٤، ص ٣٩٨.

(٩١) Gesenius, 262.

(٩٢) Fürst I, 444.

(٩٣) Dillmann, 588; Leslau, 264.

حسك/حشك/شحك/سحك

الجامع بين هذه المواد من حيث المعنى، التقاؤها على معنى الجسم الصلب الذي يَخِز، كالشوك، فالحِشاك الخشبة التي تُشدّ في فم الجدي لئلا يرضع، وحَشُكَت القوسُ: صلُبت، والحَسَك لها دلالة على أمور كثيرة كالشوك والقنفذ لشوكه.

وقد انتقلت الدلالة من المفهوم الحسي إلى المفهوم المعنوي. فالحَسَك: الحقد والغضب، ودلت الحشك على الشدة، فحشَكُ النّفَس المعاناة في النزاع الشديد. وهذا من معاني asakku في الأكاديّة[٩٤] وأشير في مادة شحك إلى مقلوبها حشك، فشَحَك الجديَ منعه من الرضاع، والشحاك كالحشاك عود يُعَرّض في فم الجدي لئلا يرضع.

وقد وردت حسك في كل من العبريّة חָשַׂךְ ḥās aḫ[٩٥] والآرامية חסך والسريانيّة ܚܣܟ[٩٦]، كما وردت مادة حشك كذلك، إذ هي في السريانيّة ܚܫܟ[٩٧] وقد اكتسبت المدلول المعنوي، فدلت على الظلمة، وهذا ما دلت عليه مادة سحك في العربيّة التي دلت على المصيبة ودلت على الظلام والسواد. ودلت חֲשֵׁכָה في العبريّة على الظلمة وهي من مادة חשך[٩٨]. ودلّت مادة ܚܣܟ في السريانيّة على المنع والشكم والإعاقة[٩٩]. والكلمة في الحبشيّة ḥasak وتعني نوعاً من الشوك، وهو معنى يتفق مع بعض معانيها العربيّة[١٠٠].

إن كل مادة من هذه المواد التي يُفترض أنّها تعود إلى أصل اشتقاقي واحد، اكتسب مع رحلة الزمان معاني جديدة، إلى جانب المعنى المشترك القديم، وقد استقلت كلّ منها بمعانٍ خاصة لم تشاركها فيها سواها. وقد يكون من الصعب على المرء أن يُرجح أصالة أيّ من الصوتين (السين أو الشين) على الآخر،لورودهما في صورتيهما، إذ وردت بالسين والشين في السريانيّة والعبريّة، ووردت بالسين في الأكاديّة والحبشيّة.

[٩٤] Von Soden, 72.

[٩٥] Fürst I, 449.

[٩٦] Brockelmann: Syriacum, 246.

[٩٧] Gensenius, 264.

[٩٨] كمال، ص ١٨٣.

[٩٩] Costaz, 111.

[١٠٠] Dillmann, 331; Leslau: Comparative Dictionary of Ge'ez, 245.

أبـــر/وبـــر

ورد في هاتين المادتين: أبر، ووبر، معنى متكرر، وهو المعنى الدال على تأبيرالنخل، أي تلقيحه، وعلى هذا فإن أبر ووبر التقتا في هذا الأصل، والمقصود بالتأبير أخذ الجسيمات الدقيقة الذكرية من ذكور النخل إلى إناثه، وهذه الجسيمات تشبه شعر الجمال والثعالب والأرانب، وهي تشبه الزّغب الذي يعلو نوعاً من نبات الكمأة، يسمى بنات أوبر (وهي تشبه الفطر) وهذا الشّعر الدقيق يسمى وبراً. وقد استعملت مادة وبر في الدلالة على كثير من المخلوقات الدقيقة، فالوَبرة اسم لدويّبة غبراء، وهي اسم لنبات اسمه الوبراء، له وَبَر. وقد جمعت الوَبرَة على وِبار ووبارة وإبارة بالهمزة وبالواو، كما قيل أبرت النخل ووبرته، بتبادل بين الواو والهمزة، كما في : أحّد ووحّد.

وعلى هذا فإنّ الإبرة بمعنى المِخْيط، والإبرة: العُظَيمة المستوية التي في طرف الزند من الذراع، تلتقي مع وبر على أصل واحد شكلاً ومضموناً، وبذا فإن مادتي أبر ووبر تعودان إلى أصل واحد. وقد دلت مادة أبر في بعض اللغات الساميّة على ريش الطائر، إذ هي في الأكاديّة abru(m)[١٠١] وتعني ريش الطائر وجناحه، وهي في العبريّة אֵבֶר ēḇēr[١٠٢] وتعني ريش الجناح، وفي الآرامية ebrā[١٠٣].

وقد دلت في الأكاديّة[١٠٤] على زعانف السمك، إذ هي كالإبر، وهي من السمك كالريش من الطائر أو الشعر من الحيوان.

وقد استقلت بعدئذ كل مادة منهما لتأخذ طريقها الخاص، وتكتسب المعاني الخاصة التي لا نجدها في المادة الأخرى، وبقي القدر المشترك شاهداً على مرحلة الأصل الواحد.

سعف/شعب/سأف

جاء في المعجم أن السَّعَف أغصان النخلة، وثمّ تخصيص للأغصان إذا يَبِست وإلا فهي الشَّطْبَة، وقيل: هي

[١٠١] Von Soden I, 7.

[١٠٢] كمال، ص ٣٢.

[١٠٣] Gensenius, 7.

[١٠٤] Von Soden I, 7.

النخلة، وقيل ورق جريد النخل، وقيل: الجريد نفسه، وقد دلّت مادة سعف وسأف على التشقق، فسَئِف ليف النخلة وأنسأف: تَشَعَّثَ وانقشر، قال ابن منظور عن أبي عُبيدة: "السَّأف على تقدير السّعَف شعر الذَّنَب والهُلْب"[١٠٥] وجاء في مادة سعف: "سعفت يده سَعَفاً وسئفت" إذا تَشَقَّقت[١٠٦].

فهذه المواد سعف، وسأف، وشعب، التقت على معنى التشقق والانشعاب، وقد جاء في مادة شعب أن الشُّعَب هي الأغصان، والأصابع، والصّدوع في الجبال والأودية، والأطراف من الجسد إلى غير ذلك من معان تدل على الانشعاب. وقد أخذت هذه المواد مع تباينها الصوتي تكتسب تبايناً في المعنى، فيه قدر من التخصيص الذي لا نجده في الأشكال الأخرى من تقلبات الأصل الصوتيّ،الذي يفترض أنها كانت عليه قبل تبايُنها، وأما التباين الصوتي لهذه المواد فيكمن في التبادل بين السين والشين، وبين العين والهمزة وبين الفاء والباء. وكلها تبدّلات مألوفة في العربيّة واللغات الساميّة.

عين/معن

يحار المرء في بعض المشتقات: كيف يرد أشتات معانيها، بعضاً إلى بعض؟ وقد ينتاب المرءَ إحساس بأن هذه المشتقات التي ضَمّها وعاء مادة واحدة، ربما عادت إلى مادتين متباينتين أو أكثر، لكن الطبيعة الاشتقاقية للغة أوهمت بأنها ذات أصل واحد.

يقف المرء عند كلمة معين في الآرامية mᶜynn [١٠٧] فيلاحظ أنها تعني عين الماء، وهذا ما دلت عليه بعض مشتقات معن بالعربيّة. فالماعون الماء بعينه، والماعون المطر، والعين المطر، والزهر الممعون: الممطور، والمعين: الماء الظاهر الجاري. وقد حار بعض القدماء في الأمر، فقالوا: "ولك أن تجعل المعين مفعولاً من العيون، ولك أن تجعله فعيلاً من الماعون يكون أصله المعن (...) وحكى ابن بَرّي عن ابن دريد: ماء معن ومَعين وقد مَعُن، فهذا يدل على أن الميم أصل، ووزنه فعيل، وعند الفراء: وزنه مفعول في الأصل كمنيع، وحكى الهروي في فصل:

(١٠٥) ابن منظور، سأف، ج٩، ص ١٤٤.

(١٠٦) ابن منظور، سعف، ج٩، ص ١٥٢.

(١٠٧) Degen, 48.

عين، عن ثعلب أنه قال: عانَ الماءُ يعينُ إذا جرى ظاهراً"[١٠٨].

وخفاء الأصل الصرفي للكلمة ظاهرة تعرضت لها اللغات الساميّة بعامة، فلْننظر مثلاً إلى كلمة منْبَع العربيّة، إذ لا يخفى أنها من: نبع، أمّا في الأكاديّة فقد حدث قلب موهم، إذ هي في الأكاديّة nambāʾu [١٠٩]، كما لو كانت الميم فيها أصليّة.

والماء المعين: الماء المستنبط من العين. والبئر المشهورة بين مكة والمدينة هي بئر مَعونة. وأحسب أن بلدة "مَعان" في جنوب الأردن سميت كذلك لعلاقة واضحة مع عيون الماء.

إن العلاقة تبدو واضحة بين دلالة عين وعون ومعن على الماء أو عين الماء. ويبدو أن الفرق بين عين وعون لا يعدو أن يكون فرقاً لهجياً في الدلالة على معنى الماء، وإن كان الفرق بينهما في غير هذا المعنى فرقاً من نوع آخر، كالفرق الذي يميّز مادة عن أخرى. كما يبدو أن ثمة مادة أخرى هي معن، وهي ذات دلالة تختلف في الأصل عن دلالة المادّتين السابقتين: عين وعون. إلا أن الطبيعة الاشتقاقية لعين أو عون – بوصفهما مادتين معتلتي الوسط – قد جعل بعض مشتقاتهما تلتقي التقاء عارضاً بمشتقات معن، وعلى هذا اختلفوا في معين: أهي من وزن مفعول (أي من مادة عين) أم من وزن فعل (أي من مادة معن).

لقد دلت مادة عين في اللغات الساميّة بعامّة على عين الماء وعين الإنسان على السواء، ووجه الشّبه بينهما قائم، وهي في الأكاديّة ēnu(m) باللفظ الآشوري، أو īnu(m)[١١٠] وفي العبريّة עַיִן ᶜayn [١١١] وفي الكنعانية ᶜaynay [١١٢] وفي بعض اللغات الحبشيّة ᶜayni may أي عين الماء و ᶜin و ʾīn [١١٣] ودلّت أسماء من نحو معان ومَعين وماعون على قرى ذات عيون مائيّة يتجمع فيها الناس أو السباع. وكلها أسماء ذات دلالة

(١٠٨) ابن منظور، معن، ج١٣، ص ٤١٠-٤١١، وعون، ج١٣، ص ٢٩٨، وعين، ج١٣، ص ٣٠٤.

(١٠٩) Bergsträsser, 186.

(١١٠) Von Soden, 220, 383.

(١١١) Fürst I, 136.

(١١٢) Gensenius, 582, 443.

(١١٣) Leslau: Arabic Loanwords, 327.

اشتقاقية على الأصل: عين، وأما "ماعين" - اسم بلدة في الأردن - فيبدو أنّها كلمة مركبة من ماء وعين.

أبـن/أبـل/أنـب

دلّت أبن على المدح والقدح، فأبّن الرجل (بتشديد الباء) وأَبَنَه (من غير تشديد) وآبنه عابه وعيّره. وأَبنّه: أثنى عليه في موته وحياته. ومنه في مدح الحيّ، قول الراعي:[١١٤]

فرفّعَ أصحابي المطيَّ وأبّنوا

هُنَيْدَة، فاشتاق العيونُ اللوامح

ثمّ مالت الكلمة إلى التخصيص فأصبحت تعني ذكر الميت بخير بعد موته.

وقد تُقلَب أَبّن فتصبح أنّب، وقد اختص هذا المقلوب بالذم والتوبيخ.

وجاء في مادتي أبن وأبل ما يفيد أنهما لفظان لمعنى واحد، مع تبادل بين النون واللام، فقيل: أبّنتُ الميت تأبيناً، وأبّلته تأبيلاً، إذا أثنيت عليه بعد وفاته. ونحن هنا إزاء احتمالين:

الاحتمال الأول: رجوع المادتين إلى أصل واحد، ثم حصل تبادل بين النون واللام، ثم أخذت كل كلمة تنمو نموها الخاص فتكتسب لنفسها في مسيرتها الذاتية معاني خاصّة.

والاحتمال الثاني: أن تكون الكلمتان من أصلين مختلفين، ولكلّ منهما مدلولها الخاص، وأنّ يكون اقترابهما عارضاً بسبب تقارب النون واللام.

وقد وردت أبل باللام في كل من العبريّة אָבֵל والآراميّة אבל والسريانيّة ܐܒܠܐ 'ēblā دالة على الحزن، وهي في الأكاديّة abālu وقد دلّت على الجفاف[١١٥]. فإن كانت المادتان من أصل واحد، فلعلّ اللام هي الأصل، بدلالة توافرها باللام في أخوات العربيّة.

أني/أين/أون/وني

أتيته آينة بعد آينة، أي تارة بعد تارة[١١٦] فكأنما أصل الكلمة أين. وجاء في مادة: أين: أتيته آئنة بعد آئنة، بمعنى آونة. وكأنما أصل الكلمة في الظاهر من أأن.

[١١٤] ابن منظور، أبن، ج١٣، ص ٤.

[١١٥] Gesenius, 5.

[١١٦] ابن منظور، أني، ج١٤، ص ٥٠.

وقد رُدّت الهمزة في: أني، إلى الواو: وني. فامرأة أناة ووناة، أي: حليمة بطيئة القيام.

وجاء في مادة: أون أن الأوْن: المشي البطيء. وقيل هي مبدلة من الهون. وقد اشتركت: أني، ووني، في الدلالة على البطء والتريّث. فآنيت: أخرت المجيء، وأبطأت.

كما دلتا على السكينة والرفق: فتأنّى: رَفَق.

وهذه المواد: أني وونى وأون، وهون، تلتقي التقاء واضحاً في الدلالة على البطء الزمني.

وقد دلت بعض مشتقات أني على الزمن، فالأنْيُ والإنْيُ الساعة من الليل، والإنَى النهار كله، والجمع آناء وأنيّ. وآناء الليل ساعاته.

فواحد الآناء إنْي، أي من مادة: أني. وإنْو: من مادة أنو. وهكذا أدى اختلاف اللّهجات إلى وجود مادتين: أني وأنو. فقال بعضهم: مضى من الليل إنيان وإنوان. كما أدّى اختلاف اللّهجات إلى دخول بعض معاني مادة نأي على مادة: أني من باب القلب المكاني. فالشاعرة التي قالت[١١٧]:

عن الأمر الذي يُؤْنيكَ عنه   وعن أهل النصيحة والوداد

قيل: أرادت: يُنْئيك، من النأي، وهو البعد، وهو المعنى المراد.

ولو طالعنا مادة: أين، لوجدنا أن المعجم[١١٨] ينص على أن: آن من: أين، لهجة في: أني، ويستشهد ببيت شعر على اللّهجتين معاً في قول الشاعر[١١٩]:

ألمّا يَئِنِ لي أن تُجلّى عَمايتي

وأُقْصِرَ عن ليلى؟ بلى قد أنى ليا

ومعلوم أن: أين، تدل على الوعاء المكاني أو ظرف المكان بالتعبير الاصطلاحي، كما أن الآن، ظرف زمان وهي من: أون، فكأنما تبع هذا التنويع النطقي نوع من التخصيص في المعنى، وكذلك أيّان بمعنى أي حين، فكأنما هي من: أيّ آن. ودلت: أوان، في العربيّة على الزمن، ويقابلها في الحبشيّة ewan' وتعني الزمن[١٢٠] وقد دلّت: إناء في العربيّة على الوعاء، مستقر الماء، ويقابلها في الأكاديّة unūtu، وفي العبريّة oni وتعني السفينة[١٢١].

[١١٧] ابن منظور، أنى، ج١٤، ص ٥٠.

[١١٨] ابن منظور، أين، ج ١٣، ص ٤٠.

[١١٩] ابن منظور، أين، ج١٣، ص ٤٠.

[١٢٠] Leslau: Arabic Loanwords, 323.

[١٢١] Bergsträsser, 186.

وقد وردت: أين، في العبريّة دالة علــى المكــان[١٢٢] فيقال מֵאַיִן mēʼayn بمعنى: من أين، كما جاءت في صورة مختصرة أي بدون نون אֵי ʼē و: אַיֵּה ʼayyēh وتعنيان: أين. و: ʼayyehā وتعني: أين أنــت، كما تركبت مع العنصر الإشــاري الــدال علــى الزمــان، فقيــل אֵימָתַי ʼēmātay أي: متــى. وقــد ارتبطت: أين، بالسؤال في العربيّة، وارتبطت في العبريّــة بالسؤال وبالنفي وقد دلت على الاستفهام والنفــي في الأكاديّة yānu و yyānu' وتعني: أيــن، ومــن أيــن، ولا[١٢٣]. ولعلّ: إنْ، الدالة على النفي في العربيّة على علاقة بذلك. وهي كذلك في الحبشيّة. وقد دلّت ai و ʼayyu علــى النفي في الأكاديّة كذلك[١٢٤].

ولا يخفى على القارئ أننا بالبحث التاريخي المقــارن، نسعى إلى إيجاد أصول اشتقاقيّة لبعض الجوامــد والأدوات، وإن كانت النظرة المعياريّة التقليديّة لا تنسب هذه الجوامــد إلى أصل اشتقاقي، والنظرة التقليديّة مُحقة في هــذا، لأنهــا تصف اللغة العربيّة وفق ما آلت إليه، واستقر عليه حالهــا. أمّا النظرة التاريخية فترمي إلــى الوقــوف علــى أصلهــا التاريخي، قبل عصور الاحتجاج اللغويّ وبعدها.

سجــــر/سجــن

تعدّدت معاني مادة سجر، وقد دلّــت علــى الشــيء وضده، وقد قيل: سجر الشيء سجراً: أرســله، والمُســجَّر: الشعر المرسل[١٢٥]. ورُوِي عن الحجاج أنه كتب لعامل له: "ابعث إليّ فلاناً مُسوْجَراً، أي: مُقيَّداً مغلولاً: وكلب مُسوْجَر: في عنقه ساجور"[١٢٦]. وفي معنى القَيْد، التقت ســجر مــع سجن في المعنى مع تبادل بين النون والراء. والراء تتبادل مع النون في مواضع.

أنس/أنــث

جاء في المعجم أن أصل الإنْس والأنَس والإنسان مــن الإيناس، وهو الإبصار...وقيل للإنس إنْس لأنهم يؤنَســـون أي يُبْصَرون، كما قيل للجن جن لأنهــم لا يُبصَــرون، أي لأنهم مُجتَنّون أو متوارون عن رؤية الناس[١٢٧].

وقد وردت كلمة الإنسان في العبريّة بدون نون אִישׁוֹן ʼîššōn، وقد حُكي في العربيّة أن طيئاً تقــول الإيســان بدل: الإنسان. وربما تكون نون الكلمــة العبريّــة حُذفــت لضعفها.

ووردت كلمة أناس، وناس، فــي العربيّــة بــالهمزة وبدونها: وأحسب أن الإنسان على علاقة لفظاً ومعنى مــع: أُناس وقد ظهرت النون في مقابل هذه الكلمة في العبرية אֱנוֹשׁ ʼenōš وفي الآراميّة الفلســطينية ʼenāš [١٢٨] وفي السريانيّة ܐܢܫܐ ʼenāšā [١٢٩] وفــي العربيّــة الجنوبية، أ ن س[١٣٠] بــالنون و: أ ي س بمعنــى إنســان مذكر، في مقابل أ ن ث للمؤنث. وأما كلمــة إنســان فــي الأكاديّة فهي nēšu و tenēštu(m) [١٣١]. وفي الحبشــيّة ʼinsī بمعنى إنسان مذكر[١٣٢]. وأحسب أن الصائت الطويل (الألف) والنون في: إنسان، هما علامة التذكير التي نجدهــا في بعض الكلمات العربيّة، كعُقْربان، وثُعلُبان، وأفعُوان.

وقد دلت مادة אָנַשׁ في العبريّة[١٣٣] على الأنــس واللطف والرقة، والضعف، ودلّت كذلك على الناس אֲנָשִׁים ʼanāšīm، ودلّت enēšu في الأكاديّــة علــى الضعــف. ويقابل ذلك في العربيّة مادة : أنس. وقــد دلّت مادة أنس אָנַשׁ في بعض اللّغات الساميّة على الأنثى أو المــرأة؛ ففي العبريّة אִשָּׁה ʼeššā وتعني: أنثى، التي هــي مــن أنث. وعلى هذا تكون الثاء في أنثى قابلت الشين من الكلمة العبريّة، وقد أدغمت النون في العبريّة، في الشــين، ولــذا شددت الشين. وهي في الأكاديّة كذلك إذ هي فيهــا aššatu وتعني زوجة، وهي في العربيّة الجنوبية بالنون الظــاهرة ʼanest [١٣٤]. وقد تتبادل الثاء والشين في اللّغات الســاميّة كما في erēšu الأكاديّة ويقابلها في العربيّة الإرث، وهــي في العبريّة بالشين אֶרֶשׁ ووردت ܐܢܬܬܐ ʻattā في السريانيّة أي إمرأة، من: أنثى، وكما تُظهر الكتابةُ السريانيّة

---

(١٢٢) كمال، ص ٤٢.

(١٢٣) Von Soden I, 411.

(١٢٤) Von Soden I, 23.

(١٢٥) ابن منظور، سجر، ج٤، ص ٣٤٦.

(١٢٦) ابن منظور، سجر، ج٤، ص ٣٤٧.

(١٢٧) ابن منظور، أنس، ج٦، ص ١٦.

(١٢٨) Dalman, 48.

(١٢٩) Gesenius, 53.

(١٣٠) Gesenius, 6.

(١٣١) Von Soden III, 1347.

(١٣٢) Leslau: Arabic Loanwords, 322.

(١٣٣) Gesenius, 54.

(١٣٤) Bergsträsser, 182.

فإن فيها نوناً، ولكنها أصبحت مع الزمن لا تنطـــق لأنهـــا أُدغمت في التاء وفي الأكاديّة a ššatu' وفي الآرامية القديمة אנתה ، وفي الآراميّـــة אִנְתְּתָא 'enttā [١٣٥].

وعلى هذا فإن الأناس والإناث والإنسان تعود إلـــى أصـــل واحد. وقد جاء الجمع نسون ونِسْوة في العربيّة و ܢܶܫ̈ܐ في السريانيّة[١٣٦]، وهي جمع للإناث، فالأصل الدلالي مطلق في الدلالة على الإنسان بعمومه، ذكراً كان أم أنثـــى، لأنـــه يُرى، بعكس الجن الذين يتوارون، أو يَجْتَنّون، ثـــم أخـــذت الكلمة تتجه للدلالة على الأُنس، واللطف، ثم على الأنثـــــى. وقد دلّت n š' على الإنسان في الآراميّة القديمة، كما دلّـــت nšy على النسوة أو النسون[١٣٧]. وهكذا تكون الصلة وثيقة بين الأنثى والإنسان والآنسة والأُناس، بَيْدَ أن رحلة التطوّر أمْلت أن تكون لكل منها سيرةٌ ذاتية مستقلّة. ولعل من المفيد أن يشار إلى المقابلة بين مادتي أنس وأنـــث فـــي بعـــض اللغات الساميّة، فقد قابلت: أنـــاس العربيّـــة nš السـبئيّة و nāšā الآراميّـــة و ēnōš العبريّـــة و nišu الأكاديّـــــة، وقابلت: أنثى العربيّة anest' الحبشيّة و attā الآرامية، و 'entā الآرامية الفلسطينيّة[١٣٨] و iššā العبريّة و aššatu الأكاديّة[١٣٩].

بتـــر/متـــر

لا يخفى مدى التقارب الصوتي بين هذين الأصليـــــن. وتبادل الباء والميم أمر معروف، لعلّة أنفيّـــة عارضـــة أو مستديمة. ومن أمثلته أن يقال: رجل زِمِـــرّ وزِبِـــرّ، أي: شديد[١٤٠] والبتْر والمَتْر هو القطع. وقد اتجـــه قـــوم نحـــو ترجيح الباء، وآخرون نحو ترجيح الميم، وعلى هـــذا كـــان المتر لغة في البتر[١٤١]، وقد دلت استعمالات بـــتر، علـــى القطع: المادي منه والمعنوي. وأما متر، فأخذت إلى جانب هذا المدلول، مدلول الجذب، والرمي والبِضاع.

وممّا يرجح قِدَم معنى القطع، وروده في هذه الكلمة في بعض اللغات الســـاميّة، ففـــي العبريّـــة בָּתַר bā tar وتعني قطّع[١٤٢]، وفي الأكاديّة butturu وتعنـــي أقطـــع[١٤٣] كما دلت mubattiru في الأكاديّة على نوع مـــن الديـــدان، ودلّت الأبتر على نوع من الحيّات قصيرة الذنب. والملاحظ أن الكلمة جاءت بالباء في هاتين اللغتين وليس الميم.

نضح/نضخ/نشح

كثيراً ما انعكس تعاور الخاء المعجمة والحاء المهملـــة - لتقاربهما في المخرج وفي صفات أخرى كالاحتكاكيّـــة والهمس - على العربيّة واللغات الساميّة، إذ نجد الكلمة في إحداها بالحاء وفي الأخرى بالخاء، ومن أمثلة ذلك חֶדֶר ḥeder ويقابلها في العربيّة الخـــدر، و חָבָא ḥibā ويقابلها الخباء. والخاء في العربيّة فونيم مستقل، قابلته الحاء في العبريّة وأما الخاء في العبريّة فهي ألفـــون أي تلويـــن صوتيّ للكاف.

وقد نجد في العربيّة بعض الكلمات التي تتبـــادل فيهـــا الخاء مع الحاء تبادلاً ألفونياً؛ ولذا أشار المعجم فـــي مـــادة نضح المهملة إلى التقائها بنضخ المعجمة، كما في تنضـــح العين وتنضخ، أي: تفور، قال ابن منظور "قال ابن الفـــرج: سمعت جماعة من قيس يقولون: النّضْحُ والنَّضْخُ واحد"[١٤٤]. ولو استذكرنا نطق الضاد بحسب وصف القدماء لها، مـــن حيث هي جانبيّة احتكاكيّة - وليست انفجاريّة كما ننطقهـــا اليوم - فإنه يسهل أن نتصور شكلاً آخر جاءت عليه كلمـــة النّضح، وهو النشح. قال ابن منظور: "والنّضـــح والنَّشـــح واحد، وهو أن يُشرب دون الرّي"[١٤٥]. ولا أحسب أن هـــذه الشين كانت تنطق شيئاً خالصة، وإنما هي شكل من أشكال نطق الضاد القديمة، ولكن هذا النطق لم يُحظ فـــي الشـــكل الكتابي، بأقرب من الرمز الكتابيّ للشين. فهو ليس بشين - نطقاً - ولكن رمز الشين الكتابيّ قد اختير لذلك، من بـــاب التقريب، وإن كان تقريباً ينطوي على قدر من عدم الدقـــة.

---

(١٣٥) Gesenius, 70.

(١٣٦) Costaz, 215.

(١٣٧) Degen, 45.

(١٣٨) Dalman, 48.

(١٣٩) Bergsträsser, 182.

(١٤٠) ابن منظور، زمر، ج٤، ص ٣٢٩.

(١٤١) ابن منظور، بتر، ج٤، ص ٣٧، ج٥، ص ١٥٨.

(١٤٢) Shachter, 84.

(١٤٣) Von Soden I, 144.

(١٤٤) ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨.

(١٤٥) ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨، وانظـــر: نشـــح، ج٢، ص ٦١٥.

وأحسب أن الخشخشة التي كانت في نطق الضاد القديمة، هي السبب في ذلك، وهي خشخشة ما نزال نلمسها في نطق الضاد في بقايا لهجات العربيّة الجنوبيّة، أعني لغة الشّحور العُمانيين كما سمعتُهم.

ولنا أن نفهم أن محاولة الأصمعي في التفريق بين النَّضح والنَّضخ تعبّر عن واقع لغويّ صحيح، ولكنه متأخر نسبيّاً، إذ أصبحت اللغة، في مرحلة لاحقة، توظّف هذا التنويع توظيفاً معنوياً، ترتب عليه شيء من التباعد بين معاني هذه المواد، ذات الأصل الواحد. قال ابن منظور: "قال الأصمعي: النّضحُ الذي ليس بينه فُرَج، والنّضْخُ أرق منه" أما أبو ليلى فلم يفرق بينهما حيث قال: "النَضْحُ والنَّضْخُ ما رَقّ وثخُنَ بمعنى واحد" وبهذا التفسير التاريخي يمكن الجمع بين الرأيين اللذين يبدوان متغايرين[١٤٦] .

ومما يؤكد أصالة الضاد في هذه المادة – وليس الشين – أنها جاءت في اللغات الساميّة بالصوت المقابل في العادة للضاد من هذه اللغات، ففي السبئيّة جاءت من ن ص ح، وهي كذلك في العبريّة נצח niṣaḥ [١٤٧] ولعل في هذا العرض الساميّ ما يشير كذلك إلى أصالة الحاء المهملة.

فقأ/فقع/فرقع/قرفع/فنقع/قنفع

جاء الفَقْع (بكسر الفاء وفتحها) – وهو نوع من الكمأة – من فقع، والفِقّيع جنس من الحمام، والفَقّع الضُّراط، والتفقيع التشدُّق، وصوت فرقعة الأصابع.

ومن فقأ جاء اسم الفَقْأة، أي السحابة، لا رعد فيها ولا برق، ومطرها متقارب. والفَقَءْ السّلَى، أي الماء الذي يكون على رأس الولد، وكذلك الماء الذي في المشيمة، والفقيء الذي يأخذه داء في البطن، والفَقء: الحفرة في الجبل.

وهكذا يذكر المعجم لكل مادة معاني تختص بها هذه المادة دون أختها، ولكن النظرة التاريخيّة يمكن أن تُردّ هاتين المادتين الشقيقتين إلى أصل واحد، هو معنى الانشقاق والانبعاج، كفقوء العين والرمّانة والبَثْر والبَطْن والدُّمَّل والقرْح. وانفقعت السحابة: انشقت أو انبعجت أو تفرقعت. وهذا هو المفهوم المستحضر في فقّاعة الماء، وتفقيع الأصابع. وتفقيع الكلام بمعنى التشدق فيه. وقد يقال: فرقع فيكون الإدغام بذل قد فُكّ من فقّع، وعلى هذا جاز أن يقال: فقّع الأصابع وفَرْقعها، أي غمزها حتى يُسمع لمفاصلها صوت. وبذا تكون مادة جديدة قد نشأت من فقّع، وهي فرقع، وعلى هذا قيل: الفَقْع والفِرقاع: الضراط أو الاست. وقد قلبت المادة الجديدة هذه فقيل: القُرفُعة بالمعنى نفسه، وقد فُكّ الإدغام بالنون أيضاً فقيل: الفُنْقُعَة وقد قلبت أيضاً فقيل: قُنفُعة. وقد أصبحت لهذه المواد ذات الأصل الواحد من الناحية التاريخية، مكتسبات جديدة حيث استقلت، وحققت كلّ منها معاني خاصة بها، فيبدو أن فقأ، اتجهت على الأغلب نحو التخصص بما يُفقأ مما احتوى على السوائل. واتجهت فقع للتخصص – على الأغلب – فيما لا يحتوي على السوائل.. ولعل خشونة صوت العين – بالموازنة مع الهمزة – أدت إلى الميل بمشتقاتها إلى غلبة المعاني السيئة عليها، كالاست والضّراط، والفقر المدقع.

وقد وردت فقع פָּקַע pāqaʿ بالعين في العبريّة بمعنى انفجر أو انفلق פָּקַע[١٤٨]، وفي السريانيّة ܦܩܘܥܐ paqqūʿē بمعنى فقاعات.

برأ/برى/وَرَى

تحدث المعجم عن برأ بمعنى خلق، وتحدث عن بري وهي مادة أخرى، بمعان آخرى، إلا أنّ المعجم تحدث في: برأ، وبري عن البريّة وهي الخلق، وبراه الله يبروه بالواو: خلقه، وقيل في تأصيل ذلك: الأصل في البريّة الهمز: البريئة. واختُلف في أصل الياء، إذ عدها بعضهم من: البَرَى وهو التراب، فأصل الياء على هذا ليس الهمزة، وقد التمس ابن منظور أصلاً تاريخياً للبريّة حيث عدها من الوَرَى وهو التراب، قال: "والواو تبدل من الياء"[١٤٩].

فهل الهمزة كانت أصلاً في البريّة، وعلى هذا فهي: بريئة، من برأ، ثم تُركت الهمزة تخفيفاً، أو هي من: برا يبرو بمعنى خلق، وعلى هذا تكون برأ وبرو بمعنى خلق.

فنحن على هذا أمام الاحتمالات الآتية في أصل هذه المادة: ورى، ومنها الورى، وهو التراب، وبرى: ومنها البَرَى وهو التراب، وهو الرأي الأول سوى أن الواو أصبحت باء، وبرأ: خلق، وبرو: خلق.

(١٤٦) انظر الرأيين لدى ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨.

(١٤٧) Shachter, 517.

(١٤٨) Gensenius, 655.

(١٤٩) ابن منظور، برى، ج١٤، ص ٧٢.

ويبدو أن: برأ المهموزة هي الأصل، وقد يُستدل على ذلك بالرسم الكتابي للغات السامية، فالمعروف أن معظم اللغات الساميّة – ومنها العربيّة – تُهمل في نظامها الكتابي الصوائت ولا تهمل الصوامت، وقد جاء هذا الفعل في العربيّة الجنوبيّة بالرمز الكتابي للهمزة[١٥٠]. والأصل في الرمز الكتابي للألف دلالته على الهمزة. وأما الألف باعتبارها صائتاً فهي تلفظ ولا تكتب. والكلمة في العبريّة والآراميّة ברא barā [١٥١] وفي السريانيّة ܒܪܐ وتعني: خَلَق[١٥٢].

ولكن الهمزة هذه قد تعرضت للتخفيف فأصبحت تنطق ألفاً في اللغات الساميّة وبعض اللهجات العربيّة. وعلى هذا فالرأي القائل بعدّ البريّة من الورَى، أو البرى وهو التراب، أمر مستبعد. والأصل فيما يبدو أصليّة الهمزة، غير أن التطور التاريخي جعل هذه الأصول تتداخل، فترتّب على هذا تكرار المعالجة لهذه الكلمات في بعض المواضع من هذه الأصول.

برك/ركب/برخ

برك الجمل: جثا على رُكبتيه، ولو راعينا ما عليه اللغات الساميّة – بخلاف العربيّة – لقلنا: بُركُتيه، وعلى هذا تكون رُكْبة، منقلبة عن بُرْكة الساميّة[١٥٣]، إذ هي في كل من العبريّة والآراميّة والأكاديّة[١٥٤] والحبشيّة[١٥٥] من برك، والبروك فيه استقرار وبرَكة وراحة، ومن هنا جاء المدلول المعنوي لهذه الكلمة في دلالتها على هذه المعاني. وقد احتفظت كلمة بِرْكة – وهي مستقر الماء – بأصل الكلمة غير المقلوب، وهي في العبريّة בְּרֵכָה berkā واحتفظت العربيّة السبئيّة[١٥٦] كذلك بالأصل ب ر ك للدلالة على البركة brkt، وعلى المباركة وهي في الحبشيّة birka [١٥٧].

(١٥٠) Beeston, 30.
(١٥١) Gesenius, 113.
(١٥٢) Costaz, 37.
(١٥٣) Bergsträsser, 184.
(١٥٤) Gesenius, 117.
(١٥٥) Dillmann, 504.
(١٥٦) Beeston, 31.
(١٥٧) Leslau: Arabic Loanwords, 329.

وقد تبادلت الكاف مع الخاء، فقيل: برخ، وتعني: برك. وهكذا تكون المواد: برك وركب وبرخ ذات أصل واحد فيما يدل على الرُّكْبة، والجثو عليها. غير أن كل مادة اتجهت اتجاهاً خاصاً فاكتسبت لنفسها معاني خاصة. وقد تكون برخ بالخاء من تأثير بعض اللغات الساميّة، التي تحكمها قواعد ظاهرة "بجد كفت".

كأكأ/كوأ/كيأ/كأى/كيع/كعكع/كعا/كها

ورد في مادة كوأ أن مصدرها مقلوب، إذ هو كأو، فكُؤْت عن الأمر كأْوا، أي نَكَلْتُ، والأصل على هذا أن يقال: كَوْءاً. وبذا فإن بناء المصدر على هذا يكون قد جاء بمادة: كأى.

وقد جاء هذا المعنى في مادة كأكأ، وهي كما ترى من مضعّف الرباعي، أي: هي ذات أصل ثنائي مكرر، وقد دلت على المعنى نفسه، ودلت كذلك على الجُبْن الهالع، وهو معنى دلّت عليه مادة ثالثة هي كيأ بمعنى جبُن: ورجل كَيْأة: جبان.

وقد تبادلت الهمزة والعين في مادة كيأ، فقيل: كِئْتُ عنه وكِعْتُ، عند النكوص والتراجع.

كما تبادلت الهمزة والعين في مادة كأكأ، فقيل: تكأكأ وتكعكع إذا نكص وتراجع وتلعثم.

وعلى هذا فإن هذه المواد كأى، وكوأ، وكيأ، وكأكأ، وكيع، وكعكع، ذات أصل واحد. ولعلها تعود إلى الأصل الثنائي كأ، أو كع. وقد قُلبت المادة فتشكلت مادة كعا، ومنها كعا الرجل يكعو: إذا جبُن، ومنها الأكْعاء: الجُبناء، وقد تبادلت الهمزة مع الهاء، وهو معروف في نحو هراق وأراق، فقيل رجل أكهى أي: جبان ضعيف.

وقد وردت هذه المادة دالة على الجبن في بعض اللغات الساميّة، ففي العبريّة: חַכְאוֹת haẖ'ōt وتعني الجبن أو الخَوَر وفي السريانيّة ܟܐܐ kā'ā وتعني الجبْن والانكماش[١٥٨]. وحدث تبادل الهاء مع الهمزة في العبريّة، إذ جاءت مادة כהה دالة على الجُبْن والانكماش. أما الأكاديّة فقد وردت فيها 'akū̃(m) وتدل على الانقباض والعاهة. وقد دلت في العربيّة على العاهة النطقية كالكأكأة.

(١٥٨) Gesenius, 331.

نفخ/نفح/لفــح

يقال: "نفخت الريح إذا جاءت بغتة"[١٥٩] ونفخت بهــم الطريق، أي: رمت بهم بغتة. وجاء في مادة نفح: "النُّفْحَــةُ دُفعَةُ الريح، ونَفَحت الدابة: ضربت برجلها. والنَّفْحُ: الرفْس. فالنفحة، دفعة، ولذا قيل فيها دفعة الــبرد أو دفعــة الحــرّ، وقيل: النفحة للبرد واللفحة للحرّ، وقيل عكس ذلك. ويبدو أن هذا من باب تبادل النون والــلام، كلفــح السَّــموم، ونفــح السموم[١٦٠]. ويبدو أن المعنى القديم للنفخة والنفحة واللفحة قد جاء من الاندفاع. وبالرجوع إلى بعض اللغات الســاميّة نجد أن هذه الكلمة قد جاءت بالحاء في بعضها كالعبريّة נָפַח nā faḥ [١٦١] والآراميّة נפח والسريانيّة ܢܦܚ .

وهي في الأكاديّة بالخاء napā h̲u ومنها نَفْــخ النــار والكير. وتبادل الحاء والخاء أمر حاصل في العربيّة وفــي اللغات الساميّة.

نكأ/نكه/نكى/نكع

يبدو أن أصل هذه المواد ثنائي، من النون والكاف، أما الحرف الأخير، فلم تثبت عليه اللغات الساميّة ولا العربيّــة فقد جاء في العربيّة بالهمزة: نكأ القُرْحة إذا قرَفها، ونكــأت العدو: هزمته، وهي لهجة في نَكَيتُ العدو نِكايــة. وعلــى هذا فنكأ هي نكا. وتخفيف الهمزة وهمز الألف معــروف، كما في رأس وراس، وخال وخأل وحُبلى وحبلأ، وقد جاءت في الآرامية נְכָא وفــي الســريانيّة ܢܟܐ neh̲ā بالألف التي هي في الأصل الرمز الكتابيّ للهمزة[١٦٢].

وقيل في العربيّة: هُنّئــتَ ولا تُنْكَــأ أو ولا تُنْكَــهُ أي أُصبِت بوجع، وهنا تبادلت الهمــزة والهــاء، وهــو أمــر معروف. وقد وردت الهاء في هذه الكلمة من العبريّة נָכָה[١٦٣].

ووردت في العربيّة بالعين، على سبيل تبادل الأصوات الحلقيّة: نكأ – نكه – نكع، قال ابن منظور: والنَّكأة لغة في النَّكَعَة، وهي نبتة[١٦٤].

---

[١٥٩] ابن منظور، نفخ، ج٣، ص ٦٣.

[١٦٠] ابن منظور، نفح، ج٢، ص ٦٢٢.

[١٦١] Gesenius, 511; Fürst II, 45.

[١٦٢] Costaz, 204.

[١٦٣] Gesenius, 503; Shachter, 506.

وأحسب أنّ: نكح، تدخل في هذا التطوّر، ومــن ذلــك النكاح، ونكح المطر الأرض، ونكح النعاس عينه، إذا انطبق بعضها على بعض، فكأنما ضرب بعضها بعضاً[١٦٥]، وقــد دلّت ܢܟܝܚܘܬܐ nah̲īḥ في السريانيّة على العفّــة، وهــو المفهوم المتطوّر للنكاح بمعنى الزواج، وهي في العبريّة נָכֹחַ nā h̲oḥ [١٦٦]. وقد وردت هذه الكلمة في بعض اللغات الحبشيّة فهي في الأمهريّة nika وفي الجورجيّة neka بدون حاء، وهي تدل على النكاح[١٦٧].

وقد قلب الفعل الناقص نكى في العربيّة فــأصبح منــه فعل أجوف وقد دلّ على تطابق الجفنين عنــد النعــاس، أو تَغَشّي المطر الأرض وهو عندئذ بمعنى نكح[١٦٨].

خبــا/كبــا/كفــر

يقال: كبا الزّند فهو يكبو إذا لم يُخرج نــارَه، وقيــل: أكبى: لم يورِ أو دخّن ولم يورِ، ومن ذلك: كَبّيْ ثوبه تكبية إذا بخّره.

وقيل: خَبَت النار والحرْب والحِدّة: تخبو خَبْواً وخُبُوّاً: سكنت وطُفئت وخَمَدَ لهبها.

وأحسب أن الخِباء سُمّي كذلك لأنه يُسْكن فيــه فتهــدأ النفس، ثمّ أصبح للمنزل الذي أطلــق عليــه اســم الخبــاء مواصفات معينة، فهو ما كان من وَبَر أو صوف، ولا يكون من شَعْر، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهــو بيت"[١٦٩].

فالسكن للإنسان، والنار، والحِدّة، والحبّة في غشائها أو خبائها، كل ذلك مردود إلى مفهوم واحد، دلّت عليه مشتقات مادة خبو[١٧٠] .

وإذا كان المرء في حركة ثم كبا أي عثر، فإن حركته تتوقف، وكذا الزند الذي لم يُورِ، وكبت النار سكنت وعلاها الرماد وتحتها الجمر، أي استترت وسكنت.

---

[١٦٤] ابن منظور، نكأ، ج١، ص ١٧٤.

[١٦٥] ابن منظور، نكح، ج٢، ص ٦٢٦؛ ونيك، ج١٠، ص ٥٠٢.

[١٦٦] Shachter, 506.

[١٦٧] Leslau: Arabic Loawords, 354.

[١٦٨] ابن منظور: نكح، ج٢، ص ٦٢٦؛ ونيك، ج١٠، ص ٥٠٢.

[١٦٩] ابن منظور، خبا، ج١٤، ص ٢٢٣.

[١٧٠] ابن منظور، خبا، ج١٤، ص ٢٢٣.

وعلى هذا فالمادتان فيهما دلالة واحدة، والخاء والكاف فيهما تلوين صوتي ألفوني، كما في نحو سِكّين وسِخّين، ووكز ووخز وغيرهما كثير، ثمّ أخذت كل منهما تتجه نحو التخصّص والتمايز فقيل: خبت النار أي سكن لهبها، وكَبَت النار إذا غطاها الرماد والجمر تحته. وعلى هذا يصبح ثمة فرق ولو كان ضئيلاً بين المادتين اللتين كانتا في الأصل مادة واحدة.

وقد وردت هذه المادة في العبريّة כבה بمعنى: انطفأت النار[١٧١].

كمر/خمر

دلّت مادة: كمر، في كثير من اللغات الساميّة على نوع من الرُطَب الذي يُنضَج بحرارة الأرض، وهو في العربيّة الكمْر، وفي الآراميّة الفلسطينية כמרא وتعني الثمرة المُنضجة بطريقة الدفن، وفي الأكاديّة دلّت kimru على نوع من الثمر. فكمر تدل على نوع من التخمير، وفي هذا ما يحمل على الظن بأن كمر وخمر تعودان إلى أصل واحد، وقد تبادلت الكاف والخاء كما في سِكّين وسِخّين، وهي المُدْية.

غَفر/كفر

شتان بين الواقع الوصفي لما آلت إليه هاتان المادتان، إنه الفرق بين الغُفران والكُفران، غير أن الواقع التاريخي ينم عن أصل واحد ووشائج قربى. فهما من حيث المعنى تدلان على التغطية والستر، قال ابن منظور: وأصل الغَفْر التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي سترها"[١٧٢] والغِفارة: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها.

وجاء في مادة كفر أن "الكَفْر بالفتح التغطية. وكَفَرتُ الشيء أكْفِرُه، بالكسر، أي سترته"[١٧٣].

وقد أُطلقت الكافر على المزارع لأنه يغطي البذور في الأرض. وسُمّي الكافر كافراً لأنه ستر نعم اللّه عزّ وجل وقد غلبت هذه الصفة على هذه الكلمة فأصبحت مرتبطة بها.

وأما الغفّار والغفور – جلّ ثناؤه – فدلّ اسمه على معنى السَّتر، فهو الذي يستر الذنوب.

(١٧١) Gesenius, 332.

(١٧٢) ابن منظور، غفر، ج٥، ص ٢٥.

(١٧٣) ابن منظور، كفر، ج٥، ص ١٤٧.

والذي أحسبه أنّ أصل المادتين اشتقاقاً، واحد. وقد تنوع نطق الكاف، إذ نطقها قوم غيناً، ثم استقلّت فأصبحت المادة الواحدة ذات أصلين: كفر وغفر، وقد وردت المادة بالكاف في السبئيّة[١٧٤]، فدلت كفر على ما دلت عليه مادة كفر وغفر، بمعنى كَفّر الذنب أو غفر. وهي في العبريّة بالكاف أيضاً כִּפּוּר وتعني الصفح والمغفرة[١٧٥]، ويوم الغفران الذي جاء بالغين في العربيّة – هو بالكاف في العبريّة: יוֹם הַכִּפּוּרִים yōm – ha – kfūrīm وقد وردت هذه المادة في الأكاديّة بالكاف kapāru(m) بمعنى التغطية والإزالة[١٧٦]، وجاءت المادة بالآراميّة والسريانيّة بالكاف أيضاً بمعنى غفر الذنب أو مسحه[١٧٧]. إن مجيء هذه المادة في اللغات الساميّة المذكورة بالكاف أمر متوقع، لأنها تخلو أصلاً من صوت الغين. فالغين هي تلوين ألفوني للكاف في هذه المادة ثم أخذت تستقل ليصبح الفرق فونيمياً، وقد أتيح المجال بذلك للتفريق لفظاً بين معنيين أصبحا متباعدين في العربيّة: الغفران والكفران. وعلى هذا تكون العربيّة قد استثمرت خصبها الفونيمي بوجود الغين فيها فوظفته دلالياً. أمّا اللغات الساميّة الأخرى فقد ظلّت فيها مادة كفر، محتفظة بما تحتفظ به المادتان العربيّتان: كفر، وغفر، لخلوها من صوت الغين.

نأنأ/نهنه

لا تخفى العلاقة بين نأنأ ونهنه، وتعنيان الكفّ، فنأنأتُ الرجل إذا نَهْنهته عمّا يريد، أي كففته[١٧٨] وقد جاء الفرق من تبادل الهمزة والهاء. لقرب المخرج، وهو أثر لهجي. وقد وردت الكلمة في كلّ من الأكاديّة بالهمزة nā'u بمعنى ارتد، أو ارعوى، أو كُفّ، وهي في العبريّة nū بمعنى كُفّ[١٧٩].

كفّ/كفكف/كفأ

جاء في معنى كفّ: مَنَع، وتكفّف الدمعُ: ارتدّ. وأما كفكف فهي مضعّف الرباعي، وهي ترديد للمقطع القصير المغلق: كف، وتكفكف الدمع: ارتد.

(١٧٤) Beeston, 77.

(١٧٥) كمال، ص ٢٢٣.

(١٧٦) Von Soden I, 442.

(١٧٧) Gesenius, 359, 360.

(١٧٨) ابن منظور، نأنأ، ج١، ص ١٦١، وانظر: نهنه.

(١٧٩) Fürst II, 22.

وعلى هذا التقت كَفّ وكفكف شكلاً، على الكاف والفاء، ومضموناً على مفهوم الارتداد. ثم انتقلت لتدل على معان أخرى كذهاب البصر للمكفوف والكُفّة للقميص، أي ما استدار حول الذيل، ثم دلّت على كل ما استدار كَكِفّة الميزان وكِفّة اللثة (ما انحدر منها) والكفف في الوشم: دارات تكون فيه. وكفّ الشيء منعه. وسُميت راحة اليد كفّاً، لأنّها تمنع عن الجسد، بمعنى تردّ عنه، وهي في السريانيّة ܟܦܐ (١٨٠). وكُفّ بصره أي امتنع عن الإبصار أو ارتد فلم يُبصر.

وأحسب أن مادة كفأ قد التقت في جوانب من استعمالاتها، فضلاً على أصواتها، بمادة كف، وعلى هذا يمكن أن يُستشهد بقول أبي ذر رضي الله عنه: ولنا عباءتان نكافئ بهما عنّا عين الشمس، بمعنى نُردّ، أو ندفع. وكفأتُ القوم كَفأً، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره.

وجاء في مادة كفأ، أن الهمزة قد تخفف، وعلى هذا يقال في تكفّأ تكفُّؤاً: تكفّئ تكفياً. وبذا يكون قد حدث تداخل بين المواد، وهو تداخل يحتمل عودتها إلى أصل تاريخي واحد، أو هو من باب ما قد يترتب على اختلاط اللهجات، حين تنطق كلمة في لهجة على نحو يجعلها تلتقي بذلك مع مشتقات مادة أخرى من جنس آخر. وقد يترجح الوجه الثاني، حين تبتعد المعاني دون سبيل إلى التقاء. وقد وردت مادة كفأ بالآراميّة כפא وبالعبريّة כפה وفي السريانيّة ܟܦܐ وفي الأكاديّة kipu (١٨١).

نشر/أشر/مشر/وشر

يجد المرء في هذه المواد عبارة تتكرر: فقد جاء في مادة أشر: "أشر الخشبة بالمئشار، مهموز: نشرها، والمئشار ما أُشِرَت به"(١٨٢)، وجاء في مادة وشر: "وشر الخشبة وَشْراً بالميشار، غير مهموز: نشرها، لغة في أشرها، والمئشار: ما وُشِرَتْ به، والوَشْر لغة في الأشْر"(١٨٣)، وجاء في مادة نشر: "نشر الخشبة ينشرها نشراً: نحتها، وفي الصحاح: قطعها بالمنشار، والنُّشارة ما سقط منه، والمِنشار ما نشر به، والمِنْشار: الخشبة التي يُذرّى بها البُرّ، وهي ذات الأصابع"(١٨٤).

وجاء في مادة نشر: أن المَشَرة الفتات الذي ترعاه الدابّة من تحت الشجر، فالمِحْجن أداة يُمْكن للمرء أن يَمْشُرَ به، فهو مِمْشار. والفتات من ورق ونحوه: مَشَرَة. و "المشرة: ما يَتمَشّره الراعي من ورق الشجر بمحجَنه"(١٨٥).

وعلى هذا تكون المواد نشر، وأشر، ومشر، قد التقت في المعنى، وهي تشير جميعُها إلى الفُتات الذي يخرج عند النشر، أو يتساقط بالمحجن من ورق ونحوه، كما دلت منشار على أداة النشر وعلى الخشبة التي يُذرّى بها فتات القَشّ والبُر. وقد أشير في بعض هذه المواد إلى أثر التنوّع اللهجي، كما في أشر ووشر.

وتبادل النون والميم في: نشر ومشر، أمر مسوّغ، للصفات التي تجمع بينهما وكثيراً ما تبادلتا، أو أدغمت إحداهما في الأخرى. وكذلك الواو والميم، ومن ثمّ الواو والهمزة، كما في أحد ووحد، وأكدّ ووكّد. ويبدو أن النون أصل، بدليل ورود هذه المادة في اللغات الساميّة عليها، إذ هي في العبريّة מַשּׂוֹר massōr بمعنى منشار بإدغام النون في السين، وهي من נשׂר (١٨٦) وهي في السريانيّة ܡܰܣܳܪܳܐ massārā أي منشار، وهي من مادة ܢܣܪ. كما أن ܢܣܺܝܪܳܐ nasīrā، وهي صيغة فعيل، دلّت على المنشار، وقد وردت الكلمة في الأكاديّة ma šāru بمعنى المنشار.

ووردت الكلمة كذلك في الحبشيّة من المادة نفسها.

لأم/ ليم/ لمم/ لوم

أدّى استثقال الهمزة في مادة لأم إلى مرورها بتطورات شتّى، فقد أشاروا إلى أن الهمزة قد تُخفّف فتصبح واواً، فيقال: هذا طعام يلاومني. وقد حذروا من ذلك لأنه يترتب على ذلك اختلاط بمادة لوم، قال ابن منظور في يلائمني: "ويروى يلاومني بالواو، ولا أصل له، وهو تحريف من الرواة، لأن الملاومة مفاعلة من اللوم"(١٨٧).

وقد تخفف الهمزة فتصبح ياء، ويروى على ذلك حديث أبي ذر: من لايمكم من مملوكيكم فأطعموه مما تأكلون. قال ابن الأثير: "هكذا يروى بالياء منقلبة عن الهمزة، والأصل لاءمكم"(١٨٨).

---

(١٨٠) Costaz, 160.

(١٨١) Gesenius, 358.

(١٨٢) ابن منظور، أشر، ج٤، ص ٢١.

(١٨٣) ابن منظور، وشر، ج٥، ص ٢٨٤.

(١٨٤) ابن منظور، نشر، ج٥، ص ٢٠٩.

(١٨٥) ابن منظور، مشر، ج٥، ص ١٧٣.

(١٨٦) Shachter, 473.

(١٨٧) ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣١.

(١٨٨) ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣١.

وقد أخذت مادة لأم معاني متعددة قد يصعب التقريب بينها كاللئيم وهو الدنيء واللأمُ: الجمع، فإن كان اللأمُ بين فريقين فهو الصُّلْح، وإن كان بين شقّي الجرح فهو التئام. وهكذا تكون العربيّة قد استثمرت تعدد الأشكال بقصد تعدّد الدلالات فيها.

وقد تحذف الهمزة فتصبح الكلمة: لم، وعلى هذا قيل: "لينكح الرجلُ لُمَتَه من النساء، ولتَنْكح المرأة لُمَتها من الرجال. أي شكله وتِرْبه ومِثْلُه"(١٨٩).

واللُّمة الجماعة من ثلاثة إلى عشرة. وأصلها: لؤمة. ولو عدنا إلى مادة لمم لوجدنا أنها تفيد معنى الجمع، وقد ذهب الجوهري إلى أن اللُّمَّة (بتشديد الميم) أصلها لأم، والهاء عوض من الهمزة. وعلى هذا فإن لُمَه هي لُمّة، وبذا فإن اللُّمَّة (بالتشديد) هي أيضاً الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

فأصل الكلمة فيما يبدو هو: لأم، ثم أصبحت الكلمة عند من حذف الهمزة: لَمَ، أي على حرفين، ثمّ شددت الميم فتشكلت: لمم.

ولعلّ ورود الكلمة مهموزة في بعض اللغات الساميّة يؤكد أصلية الهمزة فيها، فهي في الأكاديّة li'mu (١٩٠).

وقد وردت بالتخفيف līmu وتعني العدد ألف. وقد وردت مهموزة في العبريّة לְאֹם le'om وتعني الشعب أو القوم(١٩١).

نــمّ/ نأم/ نعم/ نحم/ نهم

قال ابن منظور: "قيل: نَهَم يَنْهِمُ، لغة في نَحَمَ يَنْحِم"(١٩٢) وجاء في نأم أن النئيم كالأنين، وكالزحير، وهما معنيان واردان في نهم ونحم، وقال ابن منظور "نَهْمَةُ الأسد بدل من نأمته" والنهيم مثل النحيم ومثل النئيم وهو صوت الأسد والفيل"(١٩٣).

ومن معاني النميمة الصوت همساً. وقال ابن منظور في نمم "وقد يُهمز فيُجعل من النئيم"(١٩٤). وقد تنطق الهمزة عيناً كما هي الحال في بعض اللهجات فتصبح نأم: نعم. وبذا تكون المادة الأصلية نمّ، قد فُكّ فيها الإدغام بإقحام الهمزة فنشأت نأم، وقد تبادلت الأحرف الحلقيّة، والهمزة، فنشأت نعم، ونحم، ونهم. ودلت معاني هذه الألفاظ على معنى واحد، ثم تمايزت فيما بعد على نحو وُظّف معه تباين الأصوات توظيفاً معنوياً عُبّر فيه عن درجات متباينة من الأصوات. فظلت نأم تدل على الأنين، وأمّا نمّ فاتجهت إلى الاختصاص بالهمس بقصد النميمية. وتوقف استعمال: نعم، بمعنى همس حتى لا تختلط بدلالات مادة نعم، وأمّا نهم فدلت على الصوت المرتفع. وقد جاءت مادة نأم في العبريّة נָאַם بمعنى قال(١٩٥).

وأما في الآراميّة فقد جاءت مادة نعم נְעַם دالة على النغم والغناء ودلّت ܢܥܡܬܐ nēᶜmtā على النغم أو الأغنية(١٩٦)، كما دلت على الدويّ، ولا أدري فلعلّ علاقةً ما تربط هذه المواد بمادة نغم العربيّة، بمعنى الصوت الهادئ؟

مشج/ مزج/ قشج/ مذق

المَشْج والمَزْج والمَشْج والمَذْق: الخلْط، فمزج الشيء خلطه بغيره، وكذلك مشج ومذق. غير أن كلاً منها أخذت تميل إلى الاختصاص، ولذا وردت المزْج والمَزج بمعنى العسل، ولم يرد هذا المفهوم في مادة مشج. وورد في مادة مشج بعض المعاني التي لا نجدها في مزج، كالنطفة ودم الحيض وغير ذلك، واختصت المَذيق من مذق بالدلالة على اللبن الممزوج بالماء.

وفي: مزج ومشج يظهر التبادل بين الشين والزاي، بدلاً من الشين والسين، وهو التبادل المعتاد، كما في شجرة وسجرة، التي تنطق في بعض اللهجات بالزاي: زجرة، ويبدو أن هذا عائد إلى أن الجيم المجهورة قد أثّرت في نطق السين فقلبت السين - وهي مهموسة - زاياً، والزاي مجهورة، وتجاور مجهورين أسهل في النطق من الانتقال من المهموس إلى المجهور. وهي كذلك بالزاي في الآراميّة מזג والسريانيّة ܡܙܓ(١٩٧)، وهي بالسين في العبريّة מֶסֶךְ، وأما في الأكاديّة فهي munziqu بالزاي وبإقحام النون وبالقاف بدل الجيم. وهنا تظهر العلاقة

---

(١٨٩) ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣٢.

(١٩٠) Von Soden I, 553.

(١٩١) كمال، ص ٣٢٩.

(١٩٢) ابن منظور، نهم، ج١٢، ص ٥٩٣.

(١٩٣) ابن منظور، نهم، ج١٢، ص ٥٩٤.

(١٩٤) ابن منظور، نمم، ج١٢، ص ٥٩٢.

(١٩٥) Gesenius, 477.

(١٩٦) Gesenius, 509; Costaz, 207.

(١٩٧) Costaz, 179.

جليّة بين هذه الكلمة في الأكاديّة و: مذق العربيّة، مع تبادل بين الذال والزاي.

ولا علاقة للمَوْزج الذي يعالجه المعجم تحت مادة مزج بهذه المادة، فالمَوْزَج: الخُفّ، وهي فارسيّة معربّة عن الفارسيّة في عصرها الفهلويّ. والجيم هنا تقابل الصوت "گ" في الفارسيّة الفهلويّة، أي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وأما تعريب الكلمة من الفارسيّة الحديثة ــ أي في العصور الإسلاميّة اللاحقة فقد كان بإسقاط الجيم، مَوْزَه. وتنطق بالفارسيّة muze [١٩٨].

وعلى هذا فإن الجذور اللغويّة الأصلية للعربيّة قد تخالطها جذور لغويّة دخيلة، لا يجمعها بالعربيّة، دِلالةً، أيُّ جامع. وأمّا الجامع الصوتيّ فيكون مبنيّاً على الاتفاق والمصادفة.

خاتمة

يتّبين من هذا البحث أن كثيراً من الألفاظ تعود إلى أصل واحد، وقد أدت رحلة التطور إلى تفاقم الخلاف بينها لفظاً ومعنى. وأما تباينها اللفظيّ فقد كان متفاوتاً، إذ كان واسعاً في بعضها، طفيفاً في آخر. وكذلك كان تباينها في المعنى. لكن في وسع المرء أن يعلل هذا وذاك، وأن يلتمس التعليلات اللازمة للرجوع بالمواد المتباينة إلى المبنى الأول الذي صدرت عنه. وكثيراً ما كان اختلاف البنى عائداً إلى أسباب صوتيّة كالتقارب الصوتي، كما في جأر وجعر، وبتر ومتر، وأبن وأبل، وكيأ، وكيع، وكأكأ وكعكع؛ وكفك الإدغام كما في فقّع وفرقع وفنقع، وخرّب وخرنب، وخزّر وخنزر؛أو القلب المكاني، الذي أصبحت فيه فرقع: قرفع، وفنقع: قنفع.

وكثيراً ما كان لتباين اللهجات بين القبائل المتباعدة مكاناً وزماناً، أثر في تباين الألفاظ. وقد رأينا كيف أدّى تداخل المشتقات إلى اختلاط أصولها، كما في عين ومعن، وكما في: برأ، وبرى، وورى، ولأم ولوم وليم.

وقد أدّى التباين اللفظي مع مرور الزمان إلى تباين في المعنى، إذ وظفته اللغة وخصصته، وقد أخذت اللغة تتعامل مع كل شكل من أشكال التباين كما لو كان مادة مستقلة، إذ أكسبته معنى أو معاني واستعمالات جديدة، بيد أن المعنى القديم الذي كان للأصل الأول ظل يسري – في الغالب – في كثير من تلك المواد المتباينة، وظلت تحمله الأشكال المتطورة في صورتها المستقلة، بما ينبيء عن أنها كانت تعود إليه قبل استقلالها.

وقد أسعفت اللغات الساميّة في كثير من الأحيان في الوقوف على المعاني الأُوَل، كما أسعفت في الوقوف على المباني الأُوَل لكثير من الأشكال المتطورة عنها. في سبيل أن تُثار المسيرة التاريخية لنشأة بعض مواد المعجم، وبقصد أن يُفسّر التقارب بين الألفاظ والمعاني في موادّ معجميّة كثيرة. وعلى أن الأدلّة في البحث التاريخيّ بعامة، تظل تتراوح بين القوة والضعف، في وضوحها وإقناعها، غير أنها تفتح الباب للنقاش، الذي قد يُجلي الأمور فيصل إلى الحقيقة، أو يُدانيها. فقد أسعفت جهود مماثلة أمماً غيرنا، في تحقيق أحلامهم في معجم تاريخيّ، فعسى أن يكون هذا الجهد وجهود أخرى بُذلت أو ستُبذل،محطّاتٍ على هذه الطريق، ونحو هذا الهدف.

---

(١٩٨) Junker, 777.

الهوامش

١. ابن جني، أو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (بدون تاريخ)، ج٢، ص ١٤٥.
٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)، كركر، ج٥، ص ١٣٨.
٣. Leslau, 188.
٤. ابن منظور، قرر، ج٥، ص ٨٤.
٥. ابن منظور، قلل، ج١١، ص ٥٦٥.
٦. Dillmann, 411.
٧. Leslau, 430.
٨. عمايرة، إسماعيل، المستشرقون والمناهج اللغويّة، ط٢، عمان، ١٩٩٢، ص ٧٧.
٩. Gesenius, 140.
١٠. Fraenkel, 170.
١١. انظر: كمال، ربحي، المعجم الحديث (عبري ــ عربي)، بيروت ١٩٧٥، ص ٩١.
١٢. Costaz, 52.
١٣. Fürst, I, 270.
١٤. ابن منظور، رأرأ، ج١، ص ٨١.
١٥. Gesenius, 146.
١٦. Leslau, 174.
١٧. انظر عمايرة، معالم دارسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، دار حنين للنشر، ١٩٩٢، ص ٣٣.
١٨. Gesenius, 149.
١٩. انظر عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغويّة، ص ٧٦.
٢٠. Gesenius, 150.
٢١. Brockelmann: Syriacum, 755.
٢٢. انظر عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمان ١٤١٧هـ/١٩٩٦، ص ٣١.
٢٣. ابن منظور، دبر، ج٤، ص ٢٧٥.
٢٤. Fürst, I, 258.
٢٥. Brockelmann: Syriacum, 140.
٢٦. Brockelmann, I, 445, Gesenius, 152, Fraenkel, 29.
٢٧. Degen, 48.
٢٨. ابن منظور، دمن، ج١٣، ص ١٥٨.
٢٩. ابن منظور، دمن، ج١٣، ص ١٥٩.
٣٠. ابن منظور، زحح، ج٢، ص ٤٦٨.
٣١. ابن منظور، زبر، ج٤، ص ٣١٥.
٣٢. Bergsträsser, 148.Leslau, Arabic Loanwords, 332.
٣٣. كمال، ص ٩٦.
٣٤. Von Soden, 168.
٣٥. Gesenius, 165; Fürst I, 302.
٣٦. ابن منظور، زنبل، ج١١، ص ٣١٢.
٣٧. Shachter, 533.
٣٨. كمال، ص ٩٨؛ Fürst I, 290.
٣٩. ابن منظور، دور، ج٤، ص ٢٩٥.
٤٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دور، ج٢، ص ٦٦٠.
٤١. Von Soden, I, 178.
٤٢. كمال، ص ٩٩.
٤٣. Fürst I, 292.
٤٤. ابن منظور، دسم، ج١٢، ص ١٩٩.
٤٥. ابن منظور، دنس، ج٦، ص ٨٨.
٤٦. كمال، ص ١٠٩؛ Gesenius, 170.
٤٧. Fürst I, 309.
٤٨. Von Soden, I, 178.
٤٩. كمال، ص ٢٩٨.
٥٠. Gensenius, 489.
٥١. Brockelmann, Syriacum, 417.
٥٢. Von Soden II, 748.
٥٣. Costaz, 198.
٥٤. Costaz, 198.
٥٥. ابن منظور، زحح، ج٢، ص ٤٦٨.
٥٦. ابن منظور، زوح، ج٢، ص ٤٧٠.
٥٧. ابن منظور، زوح، ج٢، ص ٤٧٠.
٥٨. Gesenius, 196.
٥٩. Costax, 86.
٦٠. ابن منظور، خضض، ج٧، ص ١٤٤.
٦١. Gesenius, 196.
٦٢. Costax, 86.
٦٣. Von Soden III, 1535.
٦٤. ابن منظور، زوع، ج٨، ص ١٤٥.
٦٥. Gesenius, 302; Fürst I, 361.
٦٦. Brockelmann: Syriacum, 203; Costaz, 90.
٦٧. كمال، ص ٤٠٧.
٦٨. ابن منظور، حوب، ج١، ص ٣٣٧.
٦٩. Gesenius, 216.
٧٠. كمال، ص ١٦٢.
٧١. Costaz, 98.
٧٢. Dillmann, 109.
٧٣. Gesenius, 221.
٧٤. كمال، ١٦٥؛ Fraenkel, 111; Gesenius, 221.
٧٥. Gesenius, 142.
٧٦. Gesenius, 341.
٧٧. كمال، ص ١٦٧؛ Gesenius, 228.
٧٨. Von Soden I, 342.
٧٩. ابن منظور، حمش، ج٦، ص ٢٨٨.
٨٠. ابن منظور، حمش، ج٦، ص ٢٨٨.
٨١. Gesenius, 241.
٨٢. Fürst, I, 413.
٨٣. ابن منظور، حنا، ج١٤، ص ٢٠٦.

٨٤. Fürst I, 415.
٨٥. Gesenius, 243.
٨٦. Costaz, 110.
٨٧. ابن منظور، حنن، ج١٣، ص ١٢٨.
٨٨. ابن منظور، خرر، ج٤، ص ٢٣٦.
٨٩. انظر عمايرة، معالم دارسة، ص ٢٥.
٩٠. ابن منظور، شخر، ج٤، ص ٣٩٨.
٩١. Gesenius, 262.
٩٢. Fürst I, 444.
٩٣. Dillmann, 588; Leslau, 264.
٩٤. Von Soden, 72.
٩٥. Fürst I, 449.
٩٦. Brockelmann: Syriacum, 246.
٩٧. Gesenius, 264.
٩٨. كمال، ص ١٨٣.
٩٩. Costaz, 111.
١٠٠. Dillmann, 331; Leslau: Comparative Dictionary of Ge'ez, 245.
١٠١. Von Soden I, 7.
١٠٢. كمال، ص ٣٢.
١٠٣. Gesenius, 7.
١٠٤. Von Soden I, 7.
١٠٥. ابن منظور، سأف، ج٩، ص ١٤٤.
١٠٦. ابن منظور، سعف، ج٩، ص ١٥٢.
١٠٧. Degen, 48.
١٠٨. ابن منظور، معن، ج١٣، ص ٤١٠-٤١١، وعون، ج١٣، ص ٢٩٨، وعين، ج١٣، ص ٣٠٤.
١٠٩. Bergsträsser, 186.
١١٠. Von Soden, 220, 383.
١١١. Fürst I, 136.
١١٢. Gesenius, 582, 443.
١١٣. Leslau, Arabic Loanwords, 327.
١١٤. ابن منظور، أبن، ج١٣، ص ٤.
١١٥. Gesenius, 5.
١١٦. ابن منظور، أني، ج١٤، ص ٥٠.
١١٧. ابن منظور، أنى، ج١٤، ص ٥٠
١١٨. ابن منظور، أين، ج١٣، ص ٤٠.
١١٩. ابن منظور، أين، ج١٣، ص ٤٠.
١٢٠. Leslau, Arabic Loanwords, 323.
١٢١. Bergsträsser, 186.
١٢٢. كمال، ص ٤٢.
١٢٣. Von Soden I, 411.
١٢٤. Von Soden I, 23.
١٢٥. ابن منظور، سجر، ج٤، ص ٣٤٦.
١٢٦. ابن منظور، سجر، ج٣، ص ٣٤٧.
١٢٧. ابن منظور، أنس، ج٦، ص ١٦.
١٢٨. Dalman, 48.
١٢٩. Gesenius, 53.
١٣٠. Gesenius, 6.
١٣١. Von Soden III, 1347.
١٣٢. Leslau, Arabic Loanwords, 322.
١٣٣. Gesenius, 54.
١٣٤. Bergsträsser, 182.
١٣٥. Gesenius, 70.
١٣٦. Costaz, 215.
١٣٧. Degen, 45.
١٣٨. Dalman, 48.
١٣٩. Bergsträsser, 182.
١٤٠. ابن منظور، زمر، ج٤، ص ٣٢٩.
١٤١. ابن منظور، بتر، ج٤، ص ٣٧، ج٥، ص ١٥٨.
١٤٢. Shachter, 84.
١٤٣. Von Soden I, 144.
١٤٤. ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨.
١٤٥. ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨، وانظر: نشح، ج٢، ص ٦١٥.
١٤٦. انظر الرأيين لدى ابن منظور، نضح، ج٢، ص ٦١٨.
١٤٧. Shachter, 517.
١٤٨. Gesenius, 655.
١٤٩. ابن منظور، برى، ج١٤، ص ٧٢.
١٥٠. Beeston, 30.
١٥١. Gesenius, 113.
١٥٢. Costaz, 37.
١٥٣. Bergsträsser, 184.
١٥٤. Gesenius, 117.
١٥٥. Dillmann, 504.
١٥٦. Beeston, 31.
١٥٧. Leslau, Arabic Loanwords, 329.
١٥٨. Gesenius, 331.
١٥٩. ابن منظور، نفح، ج٣، ص ٦٣.
١٦٠. ابن منظور، نفحْ، ج٢، ص ٦٢٢.
١٦١. Gesenius, 511; Fürst II, 45.
١٦٢. Costaz, 204.
١٦٣. Gesenius, 503; Shachter, 506.
١٦٤. ابن منظور، نكأ، ج١، ص ١٧٤.
١٦٥. ابن منظور، نكح، ج٢، ص ٦٢٦، ونيك، ج١٠، ص ٥٠٢.
١٦٦. Shachter, 506.

١٦٧. Leslau, Arabic Loanwords, 354.
١٦٨. ابن منظور، نكح، ج٢، ص ٦٢٦، ونيك، ج١٠، ص ٥٠٢.
١٦٩. ابن منظور، خبا، ج١٤، ص ٢٢٣.
١٧٠. ابن منظور، خبا، ج١٤، ص ٢٢٣.
١٧١. Gesenius, 332.
١٧٢. ابن منظور، غفر، ج٥، ص ٢٥.
١٧٣. ابن منظور، كفر، ج٥، ص ١٤٧.
١٧٤. Beeston, 77.
١٧٥. كمال، ص ٢٢٣.
١٧٦. Von Soden I, 442.
١٧٧. Gesenius, 359, 360.
١٧٨. ابن منظور، نأنأ، ج١، ص ١٦١، وانظر: نهنه.
١٧٩. Fürst II, 22.
١٨٠. Costaz, 160.
١٨١. Gesenius, 358.
١٨٢. ابن منظور، أشر، ج٤، ص ٢١.
١٨٣. ابن منظور، وشر، ج٥، ص ٢٨٤.
١٨٤. ابن منظور، نشر، ج٥، ص ٢٠٩.
١٨٥. ابن منظور، مشر، ج٥، ص ١٧٣.
١٨٦. Shachter, 473.
١٨٧. ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣١.
١٨٨. ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣١.
١٨٩. ابن منظور، لأم، ج١٢، ص ٥٣٢.
١٩٠. Von Soden I, 553.
١٩١. كمال، ص ٣٢٩.
١٩٢. ابن منظور، نهم، ج١٢، ص ٥٩٣.
١٩٣. ابن منظور، نهم، ج١٢، ص ٥٩٤.
١٩٤. ابن منظور، نمم، ج١٢، ص ٥٩٢.
١٩٥. Gesenius, 477.
١٩٦. Gesenius, 509; Costaz, 207.
١٩٧. Costaz, 179.
١٩٨. Junker, 777.

References

- Beeston, Ghul, Müller, Ryckmanns: Sabaic Dictionary (English-French-Arabic), Beyrouth, 1982.
- Bergsträsser, G.: Einführung in die semitischen Sprachen. Darmstadt, 1936.
- Brockelmann, C.: Grundriβ der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. Bd. I-II. Berlin 1908, 1913.
- Brockelmann, C.: Lexicon Syriacum. Halle Saxonum, 1928.
- Costaz, L.: Dictionnaire Syriaque-Française, Syriac-English-Arabic Dictionary, Beyrouth 1986.
- Dalman, G.: Grammatik des Jüdisch-Palästinensischen Aramäisch. Darmstadt 1981.
- Degen, R.: Altaramäische Grammatik. Wiesbaden, 1969.
- Dillmann, A.: Lexicon Linguae Aethiopicae. Lipsiae MDCCCLXV.
- Fraenkl, S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden, 1978.
- Fürst, J.: Hebräischen und Chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Testament, Leipzing 1863.
- Gesenius, W.: Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testament. 17. Aufl., Germany 1962.
- Junker, H. u. Alavi, B.: Wörterbuch Persisch-Deutsch. Leipzig, 1992.
- Leslau, W.: Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic), Ge'ez-English/English-Ge'ez. Wiesbaden, 1987.
- Leslau, W.: Arabic Loanwords in Ethiopian Semitic. Wiesbaden 1990.
- Shachter, H.: The new universal Hebrew-English Dictionary. Tel Aviv, 1962.
- Von Soden, W.: Akkadisches Handwörterbuch, Bd. I-III. Wiesbaden 1963.

Die Entwicklung der arabischen Wurzeln
Etymologische Bemerkungen zum Lexikon

Ismail Amayreh*

Kurzfassung

Diese Forschung geht von der Theorie aus, daβ die Anzahl der arabischen Wurzeln ursprünglich geringer war. Durch den Wandel von Zeit und Raum und auch aus anderen Gründen entstanden Abweichungen, die sich selbständig weiterentwickelten und eine eigene Etymologie und Bedeutung erhielten, so als ob sie von Anfang an verschiedene Wurzeln gewesen wären und keine Beziehung zueinander gehabt hätten. Das ist im allgemeinen die Ansicht der altarabischen Gelehrten, die in etwa mit den Ansichten der modernen Linguisten übereinstimmt. Die Ähnlichkeit gewisser Wurzeln und die teilweise völlige Übereinstimmung in der Bedeutung und die annähernd gleichlautenden Phoneme in der Wurzel mit der Möglichkeit einer sinnvollen Erklärung berechtigen die historische Forschung zu der Behauptung, daβ unterschiedliche Wurzeln mehr oder weniger deutlich auf eine einzige Form zurückgehen können.

Der Vergleich mit den anderen semitischen Sprachen hilft uns, manchmal die Ursprünglichkeit einer Wurzel im Arabischen zu erkennen, deshalb haben die Orientalisten-besonders die deutchen- groβen Wert auf die Übereinstimmungen in den semitischen Sprachen gelegt. Diese Bemühungen unterstützen ohne Zweifel die Vertiefung der Forschungen zur Entwicklung des Arabischen. Die Erkenntnisse aus den relativ jungen arabischen Texten können durch das Studium von Texten älterer semitischer Sprachen ergänzt und so neues Licht auf die Sprachstufen des Arabischen geworfen werden.

Diese Arbeit gibt nur einige Beispiele und erhebt nicht den Anspruch auf Vollständigkeit, denn die Untersuchung aller Wurzeln würde viele Jahre in Anspruch nehmen.

The Development of the Arabic Roots
Etymologic Notes to the Lexicon

Ismail Amayreh

ABSTRACT

This research is proceeding on the theory that the number of the Arabic roots originally was smaller. By the change of time and space, and other reasons too, deviations originated separately developing and getting an etymology and meaning of their own, so as if they had been different roots from the beginning having no relation to each others. Generally this is the view of ancient Arabic scholars, which approximately corresponds to the views of modern linguists. The resemblance of certain roots, the partial and total correspondence in meaning, and the nearly homonymous phonemes in the root with the possibility of an interpretation fraught with meaning justify the historical research to claim that different roots more or less obviously can have their origin from a single form.

The comparison with other Semitic languages helps us recognizing the originality of a root in Arabic; therefore, the orientalists-especially the Germans-have attached a great value to the correspondence in Semitic languages. These efforts, undoubtedly, support the deepening of the research on the development of Arabic. The knowledge from the relatively new Arabic texts can be completed by the studies of texts of older Semitic languages, and so, the linguistic steps of Arabic can be put in a new light.

This work gives only some examples and does not claim completeness, as the examination of all roots would take many years.

* Professor, Arabic Department, Faculty of Arts, University of Jordan. Received on 13/12/1997, and Accepted for Publication on 28/4/1999.